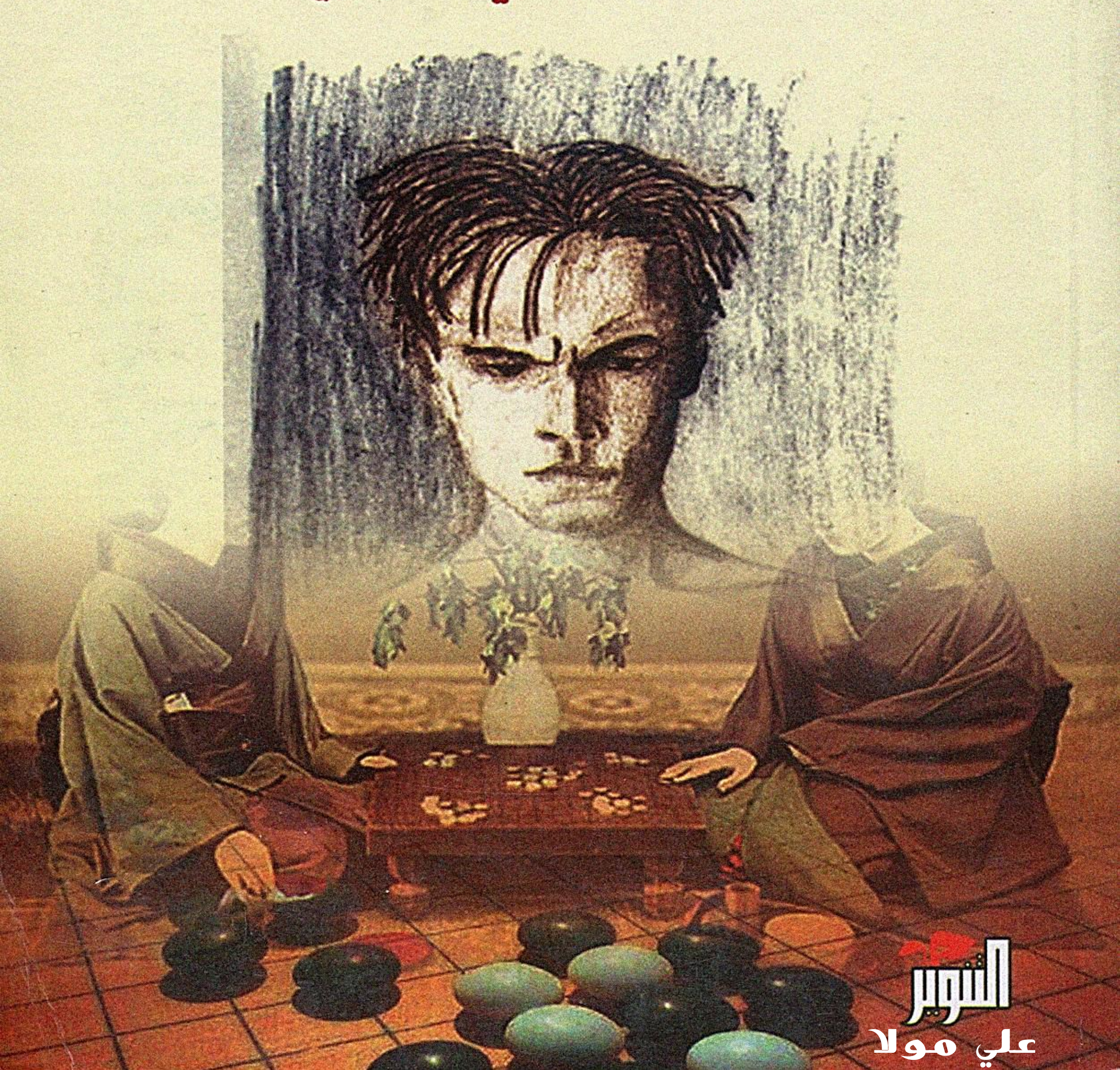
ياسوناري كاواباتا

رواية

أستاذ الـ«غو»

ترجمة صبحي حديدي



الكتاب: استاذ الـ"غو"

المؤلف: ياسوناري كاواباتا

المترجم: صبحي حديدي

الغلاف: مؤسسة مصطفى قانصو للطباعة والتجارة

الناشر: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت

هاتف وفاكس : 00961/1/471357 ـــ 03/728471 ـــ 03/728365

E-mail: kansopress@hotmail.com
kansopress@yahoo.com

- دار الفارابي - بيروت - لبنان

هاتف: 01/301461 - فاكس: 01/307775

ص. ب: 11/3181 - الرمز البريدي : 2130 1107

e-mail: farabi@inco.com.lb

سنة الطبع: 2007

ياسوناري كاواباتا

أستاذ الـ"غو"

رواية يابانية

ترجمة: صبحي حديدي



هذه الرواية هي الترجمة الكاملة للنص الإنجليزي :

yasunari kawabata: the Master of go

مقدمة المترجم

لقد اعتبر ياسوناري كاواباتا* روايته هذه « أنقى وأجمل » ما كتبه في حياته . لقد أسماها « رواية وقائع أمينة ». واستخدم تعبير shosetsu الذي يتجاوز مفهوم الرواية بمعناه المعروف إلى شكل اكثر مرونة وسخاء وكونية ، يأخذ شيئاً من ثراء وشمول السيرة الذاتية وحرارة تسجيل الذاكرة في قالب فني . يصف كاواباتا في هذا العمل الرثائي الحزين مباراة « غو»[1] فاصلة جرت فعلياً سنة ١٩٣٨ وحضرها بنفسه وغطاها لصحيفة ماينيشي .

عناصر المخيلة واضحة في الرواية . كاواباتا يسمّي نفسه أوراغامي الصحفي الذي يرسل التقارير عن المباراة إلى صحيفة نيشينيشي ـ أما الأستاذ فهو الشخصية المركزية وبطل اللعبة الذي يعرف باسمه ولقبه الاحترافي ـ ويتقابل في الرواية مع أوتاكيه الإسم الروائي لمنافس الأستاذ الواقعي كيتاني مينورو . من جانب آخر تبدو المعالجة المركبة لعنصر الزمن وبدء وانتهاء الفعل عند النقطة ذاتها والوصف الانطباعي الشفاف لمناخ الرواية دلائل إضافية على نجاح كاواباتا في صنع الرواية الوقائعية .

جانب ثالث يتصل بادخال الوقائع الثابتة في نسيج تحليلي معقد يسقط عنها مصداقيتها الوثائقية بهدف إعادة استخراجها كثوابت أخلاقية وسيكولوجية جديدة . لقد عرف عن « الأستاذ » الواقعي أنه أقرب إلى المكر والمخاتلة والشراسة ، لكن كاواباتا يفكك شخصية الأستاذ ويعيد تركيبها

---

* لمزيد من المعلومات حول حياة وفن ياسوناري كاواباتا (١٨٩٩ ـ ١٩٧٢) انظرمقدمة ترجمتنا لروايته « ضجيج الجبل » ، دار التنوير ، ١٩٨٣ ـ بيروت .

بحيث تبدو أقرب إلى القداسة والإعجاز والرمز لمرحلة اجتماعية كاملة بأخلاقها وقيمها ومواصفاتها . يصبح الأستاذ شوساي رمزاً نبيلاً مأساوياً رمّم تحصيناته في آخر قلاع التراث الياباني والتقاليد الارستقراطية ثم خاض معركة ضارية ضد اجتياح متحضر « تقني » متحلل من القيم والأصول وبارد لا يرحم . لهذا تتحول هزيمة الأستاذ في الـ « غو » إلى هزيمة لمجمل الارث الارستقراطي الذي كان حتى حرب ١٩٤٥ أساس الأخلاق في اليابان .

بيد أن كاواباتا الذي رفض الانخراط في هستيريا الجعجعات الارستقراطية التي رافقت حرب ١٩٤٥ يرفض أيضاً الأوهام « الديمقراطية » و « الليبرالية » لسنوات ما بعد الحرب . إنه ينصف أصالة اليابان بإسباغه على الأستاذ في الرواية سمات النبل والقداسة ، لكنه يؤكد هزيمة الأصالة الهشة ويكشف ذرائعية من صنعوا تلك الهزيمة وانكشاف ظهرهم أمام الأخلاق الرأسمالية الوافدة . . من خلال رمز أساسي هو مباراة « غو » .

ولعبة الـ « غو » بسيطة في قواعدها الأساسية وبالغة التعقيد في تنفيذ تلك القواعد واستخلاص نتائجها . انها ليست لعبة نقلات كالشطرنج مثلاً . ورغم أن القطع الأسيرة ترفع عن الرقعة فهي غير قابلة للتحرك الى موقع آخر متى وضعت على احدى النقاط الـ ٣٦١ في الرقعة . وينحصر الهدف في بناء مواقع محصنة ضد هجمات العدو ومحاولة حصار وأسر قطع الخصم في الوقت ذاته .

لقد صرح كاواباتا بعد أن وضعت حرب ١٩٤٥ أوزارها بأنه لن يكتب بعد الآن سوى المراثي الكونية الشاملة . واذا كانت الرواية التي بين أيدينا واحدة من أفضل نماذجه وأحبها إلى نفسه ـ وأخطر أعماله كما رأى صديق عمره الروائي يوكيو ميشيما ـ فهي تختتم مسيرته الروائية الشاقة وتفاجىء قارئه ودارسه بخصائصها التقنية (تركيب الزمن والوثيقة والوقائع) وأسلوبيتها المركبة (اختلاط القصيدة الشعرية بلغة التقرير الصحفي) ومضمونها الحركي (الفارق التراجيدي في حساسية الأجيال المختلفة لمعنى الأصالة والمعاصرة) .

صدرت الرواية في طبعتها الأصلية سنة ١٩٥٤ ، لكن

ياسوناري ـ كاواباتا أعاد نشرها في « المؤلفات الكاملة » وحذف منها بعض المقاطع التي تقع بين اختتام المباراة ووفاة الأستاذ . ولقد اعتمدنا في ترجمتنا هذه على النص الأخير .

صبحي حديدي

(١)

شوساي أستاذ الـ «غو» المصنف في المرتبة الواحدة والعشرين في تصفيات هو نيمبو توفي في آتامي داخل نزل أوروكويا ، صبيحة ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٤٠ . كان في السادسة والسبعين من عمره حسب التقويم الشرقي .

الثامن عشر من كانون الثاني يوم يسهل تذكره في آتامي . « تذكّر فيما سيأتي من سنين قمر هذه الليلة من هذا الشهر » ، هكذا ذكر كانينشاي في المشهد الشهير من رواية كويو الميلودرامية الصادرة في التسعينات والمسماة « ذهب الجان » ، لحظة الفراق قرب شاطىء آتامي . الليلة المشهودة هي ١٧ كانون الثاني حيث يقام مهرجان كويو في آتامي احتفالاً بالذكرى المئوية . حدثت وفاة الأستاذ في اليوم التالي .

متابعو الأدب كانوا دائماً يصاحبون المهرجان . في عام ١٩٤٠ بذلوا جهدهم لا كما بذلوه في السابعة ـ لا ليحتفلوا بكويو فحسب بل بكاتبين آخرين كان ارتباطهما بآتامي وثيقاً ، تاكايامي شوغويو وتسوبوشي شويو . منحت المدينة شهادات تقدير لثلاثة روائيين ـ تاكيدا توشيهيكو ، أوساجي جيرو ـ هاباشاي فوساو ـ تطرقوا إلى آتامي في كتاباتهم . ولأني كنت في آتامي فقد حضرت المهرجان .

عشية ١٧ كانون الثاني أقام العمدة مأدبة في نزل جوراكو الذي أقيم فيه . أيقظني في الفجر هاتف يعلمني بوفاة الأستاذ . ذهبت من فوري إلى أوروكويا لتقديم العزاء الأخير . حين عدت الى النزل بعد الإفطار رافقت الأدباء والمسؤولين لوضع أكاليل الزهور على قبر شويو ـ ثم إلى بستان الخوخ

حيث أقيمت مأدبة أخرى في سرادق بوشوان . انسللت من المأدبة وعدت ثانية إلى أوروكويا ، فالتقطت صوراً للرجل الميت وشيعت الجسد إلى مثواه الأخير .

وصل الأستاذ إلى آتامي في الخامس عشر من الشهر وتوفي في الثامن عشر منه . كأنه جاء الى آتامي ليموت . زرته في السادس عشر ولعبت معه لعبتي شطرنج . فجأة تدهورت حالته الصحية وزادت سوءاً في تلك الأمسية بعد زمن قصير من انصرافي . كانت تلك آخر ممارساته للشطرنج ، وهو المغرم به . لقد قمت بالتغطية الصحفية لآخر مبارياته في بطولة الـ « غـو »، كما كنت آخر خصومه في الشطرنج وآخر من يلتقط له صورة .

توثقت معرفتي به حين دعتني صحيفة « طوكيو نيشينيشي شيمبون » (وهي تدعى الآن « ماينيشي شيمبون ») للكتابة عن تلك المباراة الأخيرة . كانت المراسيم دقيقة لا مثيل لها في السابق ، حتى في مباراة ترعاها صحيفة . بدأت المباراة في طوكيو في ١٦ حزيران ١٩٣٨ في مطعم كويوكان بحديقة شيبا ، وانتهت في ٤ كانون الأول في كيتو بنزل دانكوين . لعبة واحدة استغرقت نصف عام . جرت أربع عشرة جولة . امتد تقريري في ست وأربعين حلقة ، تخللها توقف دام ثلاثة أشهر - من منتصف آب وحتى منتصف تشرين الثاني - أصيب خلالها الأستاذ بوعكة خطيرة . تلك كانت وعكة حرجة أضافت إلى آلامه المزيد . وقد يقول المرء أن نهاية المباراة أخذت معها حياة الأستاذ . ولم يتعاف من مرضه حتى وافته المنية بعد عام .

(٢)

انتهت المباراة في الساعة ٢,٤٢ من بعد ظهر ٤ تشرين الثاني ١٩٣٨ ، لكي أكون دقيقاً تماماً . آخر النقلات كانت الأسود ٢٣٧ وقام بها خصم الأستاذ .

« أهي خمس نقاط ؟ » سأل المحكم أونودا من المرتبة السادسة بنبرة تهذيب خافتة . لعله قال ذلك من منطلق الحرص على الأستاذ ، الذي أراد أن يوفر عليه عناء اعادة ترتيب الرقعة في بقعة واحدة بعد أن أصبحت هزيمته بخمس نقاط جلية تماماً .

لم يكن أحد من الموظفين المحتشدين في الغرفة قادراً على الكلام .

« لو لم أدخل المشفى لكُنّا انتهينا في هاكونيه »، تحدث الأستاذ بهدوء ، وكأنه يريد التخفيف من ثقل الجو .

سأل عن الزمن الذي استغرقته المباراة .

« استغرق الأبيض تسع عشرة ساعة وسبعاً وخمسين دقيقة . ثلاث دقائق أخرى ويبلغ الوقت نصف ما هو مسموح به يا سيدي » قالت الفتاة المسؤولة عن التسجيل ». « أما الأسود فقد استغرق أربعاً وثلاثين ساعة وتسع عشرة دقيقة ».

جرت العادة أن يمنح اللاعبون الكبار عشر ساعات من اللعب ، لكن هذه المباراة استثنيت من ذلك وضوعف القسط الزمني[٢] أربع مرات ، بقيت للأسود عدة ساعات ، لكن الساعات التي استخدمها كانت رقماً كبيراً بدورها ، بل هي فريدة حقاً في سجلات اللعبة منذ ان وضعت قيود للزمن .

كانت الساعة تقترب من الثالثة حين انتهت اللعبة . أحضرت الخادمة الشاي . الصمت يلفّ المجموعة وكل العيون مسمرّة على رقعة الـ « غو » .

سكب الاستاذ الشاي لخصمه أوتاكيه ، من المرتبة السابعة .

بعد الإعراب عن كلمات الشكر المناسبة في نهاية اللعبة جلس أوتاكيه الشاب مطرق الرأس لا يريم حراكاً . تجاورت يداه لتستقرا فوق ركبتيه وامتقع وجهه الشاحب أبداً .

حرّك الأستاذ سكينته حين أخذ يبعد الأحجار البيضاء ، فبدأ يضع الأحجار السوداء في وعائها ، نهض الأستاذ واقفاً ، كما يفعل في الأيام العادية ، وغادر الغرفة بلا اكتراث . لم يكن لديه تعليق على اللعبة ، مثله مثل اللاعب الآخر الشاحب ، كانت الأمور ستختلف لو أنه خرج خاسراً .

عند عودتي إلى غرفتي نظرت من النافذة . بدّل أوتاكيه ثيابه بسرعة مدهشة وارتدى كيمونو مبطناً وخرج إلى الحديقة . كان يجلس على المقعد البعيد وحيداً دون جليس ـ وقد عقد ذراعيه بشدة . كانت عيناه مشدودتين إلى الأرض . جلسته هذه ، هناك في الحديقة المترامية الباردة تحت شفق دام لخريف متأخر ، توحي بحالة من التأمل العميق .

فتحت باباً زجاجياً في الشرفة وناديته : « سيد أوتاكيه ، سيد أوتاكيه » .

التفت نحوي ورماني بنظرة خاطفة كأن أمراً ما كان يثير قلقه . لعله كان ينتحب .

عدت الى غرفتي وجاءت زوجة الأستاذ .

« مضى زمن طويل ، وكنت في غاية اللطف معنا » .

تبادلت معها بعض الملاحظات ، وغادر أوتاكيه الحديقة لتوه ، قام بجولاته بالسرعة ذاتها ، مرتدياً كيمونو رسمياً هذه المرة ، فزار غرفة الأستاذ وغرف الاداريين والمنظمين حتى وصل إلى غرفتي في النهاية .

أما أنا فذهبت لتقديم تحيات التقدير للأستاذ .

(٣)

بعد يوم من انتهاء تصفيات نصف العام كان الاداريون ومن معهم يتعجلون الانصراف . حدث ذلك في اليوم السابق للتسيير التجريبي للخط الحديدي الجديد في إيتو .

القطارات تجيء في موسم الاجازات فقط ، ولذا كان الشارع الرئيسي مزداناً بالزينات ومظاهر الاحتفال ، كنت منعزلاً في البيت « مختوماً في علبة صفيح » كما توصف عملية اغلاق اللعبة أمام العالم . الآن ، في الحافلة التي تقودني إلى البيت والزينات متألقة أمامي ، شعرت بالتحرر وكأنني انتشلت من كهف مظلم . التراب الخام الذي يغطي الدروب حول المحطة الجديدة ، والبيوت المتداعية ، فوضى واختلاط البلدة الجديدة كانت كلها تنطق بمجموع ما هو عليه العالم الصاخب الضاج بالحياة في الخارج .

حين غادرت الحافلة محطة إيتو وانطلقت على الطريق الساحلي مررنا بنساء يحملن صرر الأغصان الجافة على ظهورهن . بعضهن حملن في أيديهن السرخس ذا الورق الأبيض لاستعماله في زينات السنة الجديدة ، بعضهن عقدن السرخس على صدر القش . انتابتني فجأة رغبة في التواجد بين الناس . كأنني صعدت قمة جبل ووقع بصري على دخان القرية الرابضة عند السفح . اشتقت لرتابة الحياة العادية وترتيبات السنة الجديدة وما سواها . شعرت كأنني فارّ من عالم كئيب تائه . جمعت النسوة أحطابهن واتخذن طريق العودة الى البيت لتناول العشاء . استضاء البحر بضوء كامد لا يخمن المرء مصدره . كان اللون عند تخوم الظلام غير عادي .

فكرت في الأستاذ حتى وأنا في الحافلة . لعل اشتياقي الى صحبته كان

مردّه المشاعر التي اكنها لـه . انسحب آخر حضـور اللعبة ، ومكث الأستـاذ الكهل وزوجته لوحدهما في نزل إيتو .

خسر « الأستاذ الذي لا يقهر » آخر مباريات البطولة . وقد يخال المرء أنه سيكون أول الراغبين في الرحيل ، وأفضل مـا يخطر للمـرء أنه سيـرغب على الفور في تغيير الجو لكي يصحو . هل كان الأستاذ غامضـاً في هذه المسـائل ؟ رغم أن كل المنظمـين على اختـلاف مشاربهم ـ وأنـا الذي أغـطي المباراة من بينهم أيضاً ـ أصبحنا نجد المكان بائساً وغير محتمل وغـادرناه كمن يبحث عن ملجـأ ، فقد تخلف الأستـاذ وبقي فيه لـوحـده . هـل سيجلس هنـاك شـارد الذهن كعادته دائماً ، تـاركاً وراءه سـوداوية الآخـرين وارهاق مخيلتهم ، كـأنما يقول أنه لا يعرف عنهم شيئاً ؟

بين أوائل الذاهبين كان خصمه أوتاكيه من المرتبة السـابعة ، كـان لديـه منزل جميل يأوي اليه بعكس الأستاذ .

بعد سنتين أو ثلاثة من انتهاء المباراة كما أقدّر ، تلقيت رسالة من زوجته تخبرني فيها أنهما يستضيفان ستة عشر شخصاً في البيت . رغبت في زيـارتهما ، وزرته لتقديم التعازي بوفاة والده وانخفض العدد الاجمالي إلى خمسـة عشر . كانت زيارتي الأولى متأخرة بعض الشيء لأنها جـاءت بعد شهـر كامـل ، كما أظن ، من تشييع الجنازة . كان أوتاكيه نفسه في الخارج ، لكن زوجته قادتني إلى الردهة . أوحت طـريقتها بـأني أثرت ذكـريات بهيجـة . حين انتهينـا من التحيات سارت نحو الباب .

« دعيهم يدخلون جميعاً من فضلك » .

تسـارع وقع الخـطوات في الخارج ودخـل أربعة أو خمسـة اشخـاص الى القاعة . شكّلوا صفّاً كأطفال تلقوا إيعازاً بالانتباه . انهم تلاميـذ أوتاكيـه كما يبدو ، وأعمارهم تتـراوح بين الحـادية عشـرة والثانيـة عشرة إلى العشـرين . كانت بينهم فتاة طويلة متوردة الخدين ممتلئة الجسم .

« كونوا مهذبين الآن » قال السيد أوتاكيه بعد تقديمي لهم .

قفزت رؤوسهم بصورة مفاجئة . شعرت بدفء الترتيب في المنزل . لم يكن هناك شيء ملحوظ في المشهد ، فالمنزل من النوع الذي تبدو فيه الأشياء طبيعية تماماً . حين غادر الشبان الردهة سمعتهم يثرثرون صاخبين في ارجاء المنزل . دعتني السيدة أوتاكيه إلى الطابق الأعلى ، فانخرطت في التدرب مع واحد منهم . توالى تقديم الأطباق مما جعل زيارتي لهم تطول في نهاية الأمر . لقد كانت الزوجة تقوم بادارة المنزل بتلاميذه الستة عشر ايضاً . لم يكن أحد من اللاعبين المحترفين الاصغر منه سناً يحتفظ بأربعة أو خمسة تلاميذ في منزله . في هذه الحقيقة بالطبع تكمن شعبية أوتاكيه وتأثيره ، ولعل نزوعاته القوية وارتباطه الوثيق بأولاده بلغت من الاتساع درجة جعلته يحتضن الآخرين .

كان أوتاكيه يهتف بزوجته فور نهاية كل جولة في تلك المباراة الأخيرة : « انني مختوم في علبة من الصفيح »[٣].

« اليوم كانت حالة الأستاذ طيبة بما يكفي ليلعب حتى . . ». وسيعطيها رقم اللعبة الأخيرة .

كان لا ينقل لنا سوى القليل من المعلومات ، ولا يقدم شيئاً لكنه يلمح إلى تقدم المباراة . كنت أسمعه يتحدث وأفكر : كم أحببته .

« أوه ؟ ضعف وزني وأنت بنصف عمري ».

« لقد جاوزت الثلاثين يا سيدي . الثلاثون سن سيئة ، في الأيام التي تفضلت وأعطيتني دروساً خلالها كنت أكثر نحولاً ». تحولت أفكاره إلى اللعب . وكنت مريضاً منهكاً في تلك الأيام . زوجتك بدورها أبدت الكثير من اللطف ».

من الحديث عن ينابيع شينشو الحارة - موطن السيدة أوتاكيه - انتقل الحديث إلى القضايا الداخلية . تزوج أوتاكيه في الثالثة والعشرين حين بلغ المرتبة الخامسة . رزق بثلاثة اولاد وقبل ثلاثة تلاميذ في بيته فضم المنزل بذلك عشرة اشخاص .

أكبرهم ـ فتاة في السادسة ـ تعلمت اللعبة من مراقبتها له .

« أعطيتها تسعة أحجار مقدماً في اليوم التالي . لقد التزمت بدستور اللعبة ».

« ممتاز جداً ». كان على الأستاذ أن يعترف .

« أما ابنتي الثانية ـ ابنة السنوات الأربع ـ فتتقن كل شيء عن وضع الأحجار في الكش . لا اظن اننا نجزم بمواهبها ، ولكن قد تتوفر لذلك بعض الامكانات ».

بدا الآخرون غير مرتاحين .

كان واضحاً أن أوتاكيه ـ أحد أقطاب لعبة الـ « غو » في العالم ـ سيدفع ابنتيه الى الاحتراف لو تأكد جدياً من موهبتيهما ، حتى في سن السادسة أو الرابعة . ويقال أن الموهبة في الـ « غو » تظهر بدءاً من سن العاشرة تقريباً ، وأن الطفل اذا لم يبدأ دراسته في ذاك العمر فلا أمل له . لكن كلمات أوتاكيه أدهشتني وبدت غريبة . هل كانت تطرح مفهوم الشباب ؟ رجل يسقط في الثلاثين من عمره أسير لعبة الـ «غو» دون أن تستنزفه . لا بد أن السعادة تظلل حياته العائلية كما يخيل لي .

تحدث الأستاذ عن منزله ، انه يربض في مكان ما أسفل مساحة تقارب ربع فدان في سيتاغايا ، ولأن البيت ذاته غطّى ثلث الأرض فقد باتت الحديقة مزدحمة بعض الشيء . كان يود بيعه والانتقال إلى بيت ذي باحة أوسع بقليل . أما بالنسبة للأستاذ ، فإن الأسرة تعني لديه نفسه وزوجته ، هذه التي تلازمه الآن . لقد توقف عن قبول التلاميذ في بيته .

(٥)

في دانكوين إيتو استؤنفت المباراة المتوقفة طيلة ثلاثة أشهر ، وذلـك بعد مغادرة الأستاذ لمشفى سانت لوك . أقيمت خمس لعبـات في اليوم الأول، من الأسـود ١٠١ الى الأسود ١٠٥ . نشب نـزاع حول تحـديـد مـواعيـد الجـولـة التالية . رفض أوتاكيه القواعد المعدلة التي اقترحها الاستاذ لأسباب صحية ، وقـال بأنـه سيلجأ إلى إبـطال المباراة ـ ازداد النـزاع تعقيداً وتعنتـاً حتى تجـاوز خلافاً سابقاً كان قد حدث في هاكونيه من قبل .

توالت الأيام الحافلة بالتوتر يـوماً بعـد يوم ، وظـل المتباريـان والاداريون « مختومين » في دانكـوين . وذات يوم غـادر الأستاذ إلى كـاوانا لتغيـير الجو . ولقد كان أمراً خارقـاً للمألـوف أن يبادر رجـل من تلقاء نفسـه لممارسـة هذه الترهات وهـو الذي يبغضهـا . رافقته أنـا ومورا‌شيـها المصنف خامسـاً وأحد تلاميذه ، ومعنا الفتاة الشابة محترفةالغو التي تتولى التسجيل .

بدا خاطئـاً أن الاستاذ لن يكـون لديـه ما يفعله في فنـدق كاوانـا سوى الجلوس في الردهة العريضة غريبة الطراز والاكتفاء بتناول عصير البرتقال .

كنت على الدوام مغرماً بـالمنظر البـاهر المفتـوح من كاوانـا . خطر لي أن أريه للعجوز المكتئب ، وراقبت ردود أفعاله . جلس صـامتاً ، كـأنه لا يحس بـالمنظر المنبسط أمـامه ، لم يتـطلع في وجوه الضيـوف الآخرين . لم يـطرأ أي تغيير على تعابير وجهـه ، ولم يكن لديـه ما يقـوله بصـدد الإطلالـة الجميلة أو الفنـدق ؛ وهكذا ـ كـما هي عادتـه دائماً ـ ظلت زوجتـه هي الملقنة والنـاطقة بلسانه . امتدحت زوجته المشهد ودعته للمـوافقة عـلى ذلك . لم يبـد علامـة موافقة ولا علامة اعتراض .

رغبت في ابقائه تحت الشمس الساطعة فدعوته إلى الحديقة .

« نعم . . لنذهب » قالت زوجته . « لا تخش الإصابة بالبرد ، ولسوف تشعر بالتحسن دون شك » .

كانت تساعده حقاً ، ولم يبد عليه أنه يجد طلبها ملزماً .

كان يوماً من أيام الخريف المتأخر الدافئة حيث تقبع جزيرة أوشيما في الضباب . الحدّات تنقض وتغطس في البحر الدافىء . في نهاية حافة المرج انتصب صف من أشجار الصنوبر التي تطوق البحر بزنار أخضر . إنتشر بعض حديثي الزواج على طول صف الأشجار بين العشب والبحر . لعلهم احتشدوا على هذا النحو غير العادي بسبب اتساع وتألق المشهد الطبيعي أمامهم . من مسافة بعيدة أمام الصنوبرات والبحر خيّل إلي أن أردية الكيمونو تبدو أنضر وأكثر زهاء مما تبدو عليه وهي قريبة . كان القادمون إلى كاوانا ينتمون إلى الطبقات الميسورة .

« جميعهم حديثو الزواج كما أظن » قلت للأستاذ ، شاعراً بحسد يقارب الامتعاض .

« لا بد أنهم ضجرون » تمتم لنفسه .

بعد زمن طويل تذكرت الصوت الخالي من التعبير .

كنت راغباً في التريض على طول المرج ، وفي افتراشه . لكن الأستاذ تسمر في بقعة واحدة ، ولم يكن بوسعي سوى الوقوف هناك إلى جانبه .

عدنا بالسيارة عن طريق بحيرة ايبيكي . كانت البحيرة الصغيرة فاتنة أخاذة عميقة وساكنة تحت شمس الظهيرة في يوم خريفي متأخر . خرج الأستاذ بدوره وألقى نظرة عجلى .

أبهجني تألق فندق كاوانا ، فاصطحبت أوتاكيه اليه في الصباح التالي . كنت أتصرف بطريقة أبوية ، ساورني الأمل في أن يفعل المكان شيئاً لحلّ العقد الوجدانية .

دعوت ياواتا سكرتير رابطة اتحاد الـ « غو » وسونادا مراسل نيشينيشي

شيمبون للذهاب معنا . تناولنا السوكياكـي عـلى الغداء في كـوخ ريفـي على ملاعب الفندق . مكثنا حتى المساء . كنت أعرف المكان جيداً ، فقد قصدته لوحدي ومع مجموعة من الراقصين ، بالاضافة الى دعوة أوكورا كيشيشيرو مؤسس مشاريع أوكورا . تواصل النزاع بعد عودتنا من كاوانا حتى المتفرجين أمثالنا وجدوا صعوبة في التوسط. استؤنفت المباراة أخيراً ، في ٢٥ تشرين الثاني .

كان الأستاذ يضع مجمرة بيضوية ضخمة من خشب البوليفين بالقرب منه ومجمرة مستطيلة وراءه يغلي عليها الماء . استجاب لإلحاح أوتاكيه ولفّ نفسه في لفاع ، ثم ارتدى عباءة بدت مصنوعة من قماش البطانيات ذات البطانة المحبوكة كي تكون واقية اضافية ضد البرد . لم يكن يفارقها في غرفته . قال بأنه أصيب بحمى طفيفة هذا الصباح .

« ما هي درجة حرارتك العادية يا سيدي ؟ » سأل أوتاكيه وهو يجلس إلى الرقعة .

« تتراوح بين السادسة والتسعين والسابعة والتسعين » قال الأستاذ بهدوء ، كأنه يزدرد الكلمات . « انها لا تتخطى السابعة والتسعين ».

في مناسبة أخرى سأل عن طوله فقال : وكنت أقل بقليل من خمسة أقدام حين تقدمت لامتحاناتي التمهيدية . ثم ازداد نموي نصف بوصة فأصبحت أطول من خمسة أقدام . المرء يفقد بعض طوله كلما تقدم في السن ، وطولي الآن خمسة أقدام تماماً ».

« جسده أشبه بجسد طفل رضيع » قال الطبيب بعد مرض الأستاذ في هاكونيه .

« ربلتاه خاليتان تماماً من اللحم . لا استطيع وصف الدواء في جرعات عادية ، علي أن أعطيه ما يأخذه الناشئون في سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة ».

(٦)

إذا لاح أن الأستاذ يزداد ضخامة حين يجلس أمام رقعة الـ «غو» فـالأمر عائد بالطبع إلى قوته ومهارته الذائعـة الصيت ، وجوائـزه التي استحقها عـلى المران الطويل والانضباط ، لكن جذعه كان طويـلاً بصورة لا تنـاسق فيها . وجهه ضخم متطاول ترتسم عليه مـلامح ذاتيـة صارمـة . كان الظـل القوي واضحاً على نحو خاص . هذه السمات المختلفة كانت ظاهرة في الصور التي التقطتها للوجه الميت .

كنت أتوجس خيفة خلال الأيام التي يتطلبها طبع الصور . اعتدت دائماً أن أحمض صـوري ـ وأطبعها عنـد ستوديـو نونـوميا في كـوداف . حين سلمت الفيلم وصفت لهم ظروف التقاطه وسألتهم بذل عناية خاصة به .

بعد مهرجان كويـو[٤] عدت إلى البيت لبعض الـوقت ثم رجعت ثانيـة إلى آتامي ، أعطيت زوجتي تعليمات مشددة بأنها لو استلمت صور الوجـه الميت في كاماكورا فعليها ارسالها دون ابطاء الى جوراكومي آتامي دون أن تنظر إليها هي أو اي شخص غيـرها . كنت اعتقـد أن صـور الهـواة هـذه لـو أظهـرت الأستاذ في حالة سيئة فلن أكون راغباً في ايـذاء ذكراه بجعل الناس يرون هذه الصور أو يسمعون عنها . وإذا تبين لي أنها سيئة فسأحرقها دون عرضها عـلى زوجـة الأستاذ أو التلاميذ. ليس غريبـاً ولا مستبعداً نهائيـاً أن أكـون قـد فشلت ، ما دام غالق التصوير معطلاً ساعة التقاطها .

عـدت بناء عـلى مكالمـة هاتفيـة من زوجتي اثناء تنـاولي ديكاً رومياً على الغـداء في حديقـة البرقـوق ـ مع لفيف من المشـاركين في مهـرجـان كـويـو . أخبرتني زوجتي أن الأرملة تطلب مني التقاط صور للرجل الميت . بعد زيـارة

الصباح تلك ، خطر لي أن الأرملة لو طلبت صوراً فوتوغـرافية أو قنـاع موت فسألبي الطلب الأول بنفسي ـ وأخبـرت زوجتي التي اتصلت بها معـزيـة أن تبلغهـا ذلك . أجـابت الأرملة بأنها غـير راغبة في قنـاع موت لكنهـا ستكـون شاكرة على الصور .

لكني فقـدت الثقة تمـاماً حـين أزف الموعـد ، كـان واجبـاً ثقيـلاً ألقيت مسؤوليته على كاهلي ، بدت فرص الفشل متزايدة حين فكرت في حالـة غالق الآلة التي أملكها ، وحين تذكرت وجود مصـور استدعي من طـوكيو لتغـطية المهرجان هرعت اليه لأطلب منه تصوير الأستاذ الميت ، لعـل الأرملة تحتج ، وقد يشاركها الآخرون احتجاجها ، اذا فاجأتهم بـدخول مصـور لم يكن يعني أي شيء لـلأستاذ ، لكن الصـور ستكون أفضـل من تلك التي سألتقـطها . جاءت الاحتجاجات من منظمي المهرجان . لقد جلبوا الـرجل إلى المهـرجان وسيكون ابعاده إلى مكان آخر أمراً غير مريح . كانوا على حق بطبيعة الحال . اقتصرت أشجاني عـلي وحدي ، واختلفت لاشعـورياً عن بقيـة المشاركـين في المهـرجان . سـألت المصور أن يلقي نـظرة على آلتي ، فقـال انه يتـوجب علي فتحها على زمن اختياري ـ واستخدام يدي بدل الغـالق . قام بتبـديل الفيلم وتوجهت إلى أوروكويا في عربة .

كانت الأبواب الليلية مغلقة في الغـرفة التي سجي فيهـا الأستاذ ، وكـان النور مضاء ، رافقتني الأرملة وشقيقها الأصغر .

« أليس الظلام حالكاً ؟ » سأل الأخ « هل نفتح الأبواب ؟ » .

التقـطت ما يقـارب العشر صـور . حرصت عـلى عدم اشتبـاك الغـالق وجربت تقنية استخدام يدي بـدل الغالق . كنت أود التقـاط صور من كـافة الجوانب والزوايا ، لكني أمام مهابة الرجل الميت لم أمتلك شجاعة التجول في أرجاء الغرفة . التقطت كافة صوري من وضعية جانبية واحدة .

وصلت الصـور الآن قادمـة من منزلي في كـاماكـورا . كتبت زوجتي على ظهر المغلف تقول: « وصلت هـذه لتوهـا من نونوميـا . لم أفتحهـا . عليـك التواجد في مكتب الضريح عند الخامسة من اليوم الرابع »، كـانت الرسـالة

الأخيرة تتعلق بطقوس الربيع في ضريح هاشيمان في كاماكورا . كان كُتّاب كاماكورا المولودون تحت علامة البروج الساقطة لهذا العام هم الذين يمثلون التعويذة ». فتحت المغلف ، وأصبحت على الفور أسير الوجه الميت . كانت الصور ناجحة . انها لرجل غارق في النوم ، وهي في الوقت ذاته تنطوي على هدوء الموت .

كنت قد جثوت قرب الأستاذ الميت الراقد على ظهره ، فكنت بذلك أتطلع إليه من الزاوية . غياب الوسادة هو علامة الموت ، والرأس مائل قليلاً نحو الأعلى بحيث بدا الفك القوي والفم الضخم المفتوح بما يكفي لملاحظته أشد قوة وبروزاً . ظهر الأنف الجبار ضخماً بصورة أقرب إلى الظلم والعسف . تجسد الأسى العميق في التجاعيد المحيطة بالعين المسبلة والجبهة الجهمة الداكنة .

تسلل الضوء المنبعث من أبواب الليل نصف المفتوحة ليمر بين القدمين ، وتكاثف الضوء الساقط من السقف فوق الجزء السفلي من الوجه ـ ولأن الرأس مائل قليلاً إلى الوراء فقد غرقت الجبهة في الظل ، سقط الضوء من الفك على الخدين ، ثم صعد نحو منبت الحاجبين والمحجرين إلى أرنبة الأنف . حين أدنيت النظر منه رأيت الشفة السفلى مختفية في الظل والأخرى مضاءة ، وظهرت من أحشاء الظل الداكن للفم سن علوية واحدة . نتأت شعرات بيض خارج الشارب القصير . كانت هناك شامتان على الخد الأيمن ، الأبعد عن آلة التصوير . التقطت ظلها وظلال العروق على الجبهة والصدغين . التجاعيد الأفقية عبرت الجبهة . خصلة واحدة فقط من شعر قصير حليق التقطت الضوء . كان شعر الأستاذ خشناً وقاسياً .

(٧)

الشامتان الضخمتان كانتا على الخد الأيمن ، والحاجب الأيمن كان طويلاً بصورة غير عادية . طرفه البعيد رسم قوساً فوق الجفن ، تطاول حتى بلغ خط العين المسبلة . لماذا تظهره آلة التصوير طويلاً إلى هذا الحد ؟ بدا الحاجب والشامتان وكأنها تضفي على الوجه الميت كآبة رقيقة فرحة .

الحاجب الطويل يعكس ملامح الأسى . هذا هو السبب .

حين رافقتني زوجتي لزيارة أوروكويا في ١٦ كانون الثاني قبل يومين من وفاة الأستاذ قالت زوجته : « نعم . لا بد من الاشارة إلى الأمر عند حضور اولئك الناس الطيبين . هل تذكر ؟ كنا سنشير إلى حاجبك ». ألقت نظرة خاطفة على الأستاذ ثم التفتت إلينا . « أنا متأكدة من حدوثه في الثاني عشر . كان نهاراً دافئاً بعض الشيء كما خيل إلي . قيل لنا أنه من الخير له قص شعره قبل رحلة آتامي فاستدعينا حلاقاً نعرفه منذ سنين . خرج زوجي إلى الشرفة ليتم حلاقته تحت الشمس الساطعة ، بدا أنه يتذكر شيئاً . قال الحلاق إن شعرة طويلة جداً تختفي في حاجبه الأيسر . كانت علامة الحياة الحياة المديدة كما قال ، ويجب الا يمسها الحلاق . توقف الحلاق عن العمل وأجاب : نعم ، ها هي ـ هنا تماماً . شعرة الفأل الحسن وعلامة الحياة المديدة . سيكون حذراً في الحقيقة ، التفت زوجي نحوي وقال ان السيد اوراغامي كتب عن الشعرة في سلسلة مقالاته الصحفية . قال ان السيد اوراغامي يمتلك بصراً خارقاً يتيح له اكتشاف التفاصيل ـ وقال انه شخصياً لم يلحظ الشعرة حتى قرأ عنها في الصحيفة . ولقد تملكه الاعجاب بالفكرة ».

ورغم أن الأستاذ لزم الصمت كعادته ، فقد عبر وجهه بريق أشبه

بالتقاط ظلٍ لطائر عابر . لم أكن أشعر بـالارتياح . لكني لم أعلم أن الأستاذ سيموت بعد يومين من حكـاية عـلامة العمـر الطويـل التي طلب من الحلاق الحفاظ عليها .

كـانت ملاحـظتي للشعرة والكتـابة عنهـا مسألـة تافهـة ـ لكني كنت قـد لاحـظتها في زمن عصيب فجـاءت أشبه بـالغوث . كتبت مـا يلي عن الجـولة النهائية في هاكونيه(٥) .

زوجة الأستاذ تقيم في النزل ، ترعى زوجها الكهل . السيدة أوتاكيـه أم لثـلاثة اطفـال أكبرهم في السـادسة ، تقـوم برحـلات يوميـة بين هيـراتسوكـا وهـاكونيـه . التـوتـر الأليم ظـاهـر للعيـان بـالنسبـة للزوجتـين . في ١٠ آب مثلاً ـ خلال اللعب في هاكونيه وحين كان الأستاذ في أشـد حالات مرضه ـ بدا وجه كل منهما ممتقعـاً كأن الـدم غادره ، وكـانت ملامحهـما مرهقـة وملفتة للانتباه ، لم تكن زوجة الأستاذ إلى جانبه خلال اللعب ـ لكنها اليـوم جلست تحدق بإمعان من مكانها في الغرفة الثانية . لم تكن تراقب اللعب ، بل تراقب اللاعب المتوعك ، ولم ترفع عينيها عنه طيلة الجولة .

السيـدة أوتاكيـه لم تدخـل الغرفـة أبداً خـلال اللعب ، كـانت اليـوم في القـاعة ، تقف سـاكتة هنـا ، تسير صعـوداً ونزولاً هنـاك . في النهايـة حـين تصاعدت الإثارة حتى باتت أشدّ من أن تحتمل كـما ظهر ، دخلت إلى مكتب الاداريين .

« أما يزال أوتاكيه يفكر بنقلته التالية ؟ » .

« نعم . انها لحظة صعبة » .

« ليس التركيز سهلاً على الاطلاق . لو أنه رقد الليلة الماضية لسهل عليه الأمر أكثر » .

سهر أوتاكيه الليل بطوله وهو يفكر : هـل سيستأنف اللعب رغم وعكـة الأستاذ ؟ لم يرقد له جفن أبداً ، وجاء إلى جولة الصباح مسهد الجفن . حان دور الأسـود في الثانيـة عشرة والنصف ، السـاعة المحـددة لإيقاف الجـولـة ، وانقضت ساعة ونصف دون أن يقرر أوتاكيه لعبته المختومة . كان الغداء غير

وارد . وجدت السيدة أوتاكيه صعوبة في ملازمة غرفتها بهدوء . لقد قضت بدورها ليلة مسهدة .

الوحيد الذي عرف طعم النوم كان السيد أوتاكيه الابن ، انه طفل رائع بلغ الآن شهره الثامن ، رائع لدرجة تجعلني أضربه مثلاً على أوتاكيه الأب لو سئلت عن طبيعة وروح الأخير ، انه التجسيد الصادق لتلك الروح . كان يوماً من الأيام التي يجد المرء فيها صعوبة في مواجهة راشد ، وقد كان مومونارو الصغير هذا هو مخلّصي .

اكتشفت اليوم شعرة واحدة بطول بوصة في حاجب الأستاذ . كانت بارزة من الوجه المنتفخ العينين ، وجاحظ العروق ، وقد جاءت بدورها كالمخلّص .

خطفت نظرة إلى الحديقة من الشرفة ، خارج غرفة اللاعبين التي خيم عليها نوع من التوتر الشيطاني ، وقد لفحتني شمس الصيف الجبارة . رأيت فتاة بزيٍّ حديث تطعم أسماك الكارب دون اكتراث . شعرت كأنني أرقب نزوة ما .نادرة هي اللحظات التي تشعرني أننا ننتمي إلى العالم ذاته .

كان وجه زوجة الأستاذ مثله مثل وجه السيدة أوتاكيه ممتقعاً وشاحباً ومرهقاً . كما هي عادتها دائماً ، غادرت زوجة الأستاذ الغرفة حين بدأ اللعب ، لكنها سرعان ما عادت وجلست ترقب الأستاذ من الغرفة الأخرى .

كان أونودا المصنف سادساً حاضراً بدوره ، عيناه مغلقتان ورأسه مطرق . وجه الكاتب موراماتسو شوفو ، الذي كان ضمن المراقبين ، اكتسى بمسحة من الاشفاق . حتى أوتاكيه الثرثار لزم الصمت . بدا عاجزاً عن رفع نظره إلى وجه الأستاذ .

فُضّت اللعبة المختومة ، الأبيض ٩٠. حرّك الأستاذ رأسه يمنة ويسرة ولعب الأبيض ٩٢ قاطعاً الأحجار السوداء قطرياً . لعب الأبيض ٩٤ بعد فترة طويلة من التأمل ، بعد ساعة وتسع دقائق . يغلق عينيه تارة ، يلتفت جانباً ، ينحني بين الحين والآخر كأنه يضبط تعويذة الغثيان . . لقد بدا

الأستاذ في محنة عظيمة . فقدت شخصيته جلالها المألوف . زاغت قسمات وجهه وبدا كالشبح ، ربما لأني كنت أرقبه وأنا في مواجهة الضوء . كانت الغرفة هادئة يكتنفها سكون. مختلف الأحجار تقرع الرقعة ، الأسود ٩٥ ، الأبيض ٩٦ ، الأسود ٩٧ ، وتتسم بشيء خارق غير دنيوي ، أشبه بتردد الصدى في هوة سحيقة .

أمعن الأستاذ تفكيره لأكثر من نصف ساعة قبل أن يلعب الأبيض ٩٨ . عيناه ترفان وفمه منفرج قليلاً ، يستخدم مروحته كأنما يطرد جذوة النار في أعمق أغوار كيانه . أكان ذلك التركيز السوداوي ضرورياً ؟ هكذا تساءلت .

دخل ياسوناغا المصنف رابعاً . حين بلغ منتصف الغرفة جثى لتأدية مظاهر الاحترام التقليدية . كانت انحناءته تنطوي على التهيب والحياء . لم يلتفت اليه المتباريان . أخذ ياسوناغا يكرر انحناءته كلما لاح أن أحدهما سيلتفت اليه . ليس أمامه ما يفعله غير ذلك . بدت القوى الجهنمية ضائعة ومنخرطة في نزال رهيب .

بعد تحريك الأبيض ٩٨ أعلنت الشابة المسؤولة عن التسجيل أن دقيقة واحدة بقيت من اللعبة ، ثم أعلنت حلول الساعة الثانية عشرة والنصف ، وهو موعد اللعبة المختومة .

قال أونودا للأستاذ : « اذا كنت متعباً يا سيدي فيحسن أن تغادر ».
« نعم . أرجو أن تفعل ذلك يا سيدي ، اذا كنت تشعر بالرغبة » قال أوتاكيه عائداً من المغاسل . « سأفكر في خلوتي هنا ، وأختم لعبتي . أعد بعدم طلب النصيحة ». علت الضحكات للمرة الأولى .

تحدث الجميع منطلقين من الحرص على الأستاذ ، حيث لم يكن انسانياً أن يبقى ملازماً الرقعة فترة أطول . ما من حاجة حقيقية لبقائه ما دامت لعبة أوتاكيه ـ الأسود ٩٩ ـ ستكون مختومة . قفز رأس الأستاذ ومال قليلاً . . أخذ يفكر في مسألة البقاء أو الذهاب .

« سأمكث فترة أخرى »، لكنه غادر إلى المغاسل على الفور ، ثم أخذ يمازح موروماتسو شوفو في حجرة الانتظار ، كانت أساريره تنطلق بصورة

مدهشة كلما ابتعد عن الرقعة .

بقي أوتاكيه وحيداً . حدّق في نسق الأبيض في الزاوية السفلية اليسرى كأنه يريد غرس انيابه فيها . بعد ساعة وثلاث عشرة دقيقة قام بلعبته المختومة ـ الأسود ٩٩ ـ « اختلاسة نظر »[٦] في المركز الميت من الرقعة .

في الصباح مضى الاداريون لسؤال الأستاذ عما اذا كان راغباً باللعب في المبنى الاضافي أو في الطابق الثاني بالمبنى الرئيسي .

« لا أستطيع السير أكثر من ذلك »، كان هذا ردّه . « أفضل المبنى الرئيسي . لكن السيد أوتاكيه أوضح أن الشلال يضايقه . لعلكم تسألونه ، وسألبي رغباته ».

(٨)

لقد كتبت عن الشعرة البيضاء الطويلة في الحاجب الأيسر . مع ذلك ، ظهر الحاجب الأيمن أكثر كثافة في صوري . لم يكن معقولاً أن الحاجب الأيمن بدأ ينمو فجأة بعد موته . هل كان له حقاً مثل هذين الحاجبين الطويلين ؟ قد يستخلص المرء أن آلة التصوير تبالغ ، ولعلها نقلت الحقيقة .

لم أكن بحاجة إلى كل هذا التوجس . كانت آلة التصوير التي أملكها من نوع كونتاكس ذات عدسة من نوع سونر ٥ ,١ ، لقد أدّت عملها باستقلال تام ودون حث مني . العدسة لا تميز الميت من الحي ، الانسان من الجماد ، العاطفة من التبجيل . لم ارتكب خطأ بعدستي ، بل السبب هو هذا كما أظن . كان الوجه ميتاً ، وقد صنعت العدسة تلك الرقة وذلك الثراء .

أدهشتني كثافة ما تكتنف الإحساس بالصور . أهي كامنة في الوجه ذاته ؟ الوجه غني بالإحساس ، لكن الرجل الميت نفسه كان يفتقر اليها . بدا لي أن الصور تنتمي إلى عالم غير عالم الحياة والموت ، فالوجه حي وإن كان نائماً . قد يراها المرء بمعنى آخر صوراً لوجه ميت لكنه يستشعر فيها شيئاً ما لا يمت بصلة إلى الميت أو الحي . هل تبدّى الوجه في صورة وجه حي ؟ هل استدعى الوجه جملة من ذكريات الرجل الميت ؟ أم أنني لا أرى وجهاً حياً بل صوراً فوتوغرافية ؟ استغربت أيضاً أنني أرى الوجه الميت في الصور أكثر وضوحاً ودقة من المرات التي رأيته فيها سابقاً . كانت الصور أشبه برمز لشيء كامن خفي، لا ينبغي النظر اليه .

ندمت فيما بعد على التقاط الصور . كان تصرفاً طائشاً . انه في الحقيقة

نوع شائع من الوجـوه ، ليست له سمـة فريـدة ذات امتياز عـظيم . الأذنان مثلاً . . كأن الشحمتين قد تهشمتـا . كان الفم واسعـاً والعينان صغيـرتين . طوال السنوات الطويلة من انضباطه في فنّه ، ظـلّ الأستاذ الجـالس إلى رقعة الـ «غو» يمتلك القدرة على تهدئة المحيط من حوله . . وقوة الروح تلك كانت جليـة أيضاً في صـوري . حزن عميق جـارف في خطوط الجفنـين المسبلين ، كرجل يستولي عليه اليأس وهو ينام .

ونـظرت إلى الجسد . رأس الـدمية ذاك ـ الـرأس فقط ـ بـدا نـاتئـاً من الكيمـونو خشن الحيـاكة ذي النمط الشبيـه بقرص العسـل . كـان الكتفـان محدودبين لأن الجسد يتلفع بكيمونو أوشيما بعد وفـاة الأستاذ . لكن المـرء يجد فيه الاحساس الذي يجده في الأستاذ حيّاً ، كأنه من الخـاصرة يتضـاءل إلى لا شيء . بدا ساقا الأستاذ وردفاه كأنها أقل من أن تحتمل وزنه كما عبّر الطبيب في هاكونيه . حين نقل من أوروكوبا ظهر الجسد منعدم الوزن تمامـاً باستثنـاء الرأس . لقد لاحظت خلال المبـاراة الأخيرة نحـول ركبتي الأستاذ الجـالس ـ وفي صوري أيضاً لم يكن يظهر منه سوى الـرأس ، الذي لم ينحـل من بعض الـدمامـة ، كأنـه مفصـول عن الجسـد . كـان في الصـور شيء خـرافي غـير حقيقي ، لعله انبثق من الرأس ذروة مأساة قصوى لرجل ثابر عـلى انضباطـه بفنّه حتى فقد الجانب الأفضل من الواقع . لعلي صورت وجـه رجـل نُذر منـذ البدء للشهادة في سبيل الفن . كأنما حياة شوساي ، أستـاذ الـ « غو »، أفلت بأفول فنّه ، في تلك المباراة الأخيرة .

(٩)

أشك في وجود سابقة للمراسيم التي افتتحت بها مباراة الأستاذ الأخيرة . قام الأسود بلعبة واحدة والأبيض مثلها ، ثم أقيمت المأدبة .

في ٢٦ حزيران ١٩٣٨ خمدت أمطار الصيف المبكر وكانت السحب الصيفية اللطيفة تغطي السماء . غسلت الأمطار أوراق الشجر في حديقة كويوكان وسقطت أشعة الشمس القوية على أوراق مبعثرة من شجر الخيزران .

كان هو ينمبو شوساي أستاذ اللعبة ومتحديه أوتاكيه المصنف سابعاً جالسين في ردهة الدرج المواجهة للرواق . وجهت الدعوة للجميع واجتمع أربعة من الأساتذة : جلس على يسار الأستاذ الثالث عشر في سلسلة اساتذة الشطرنج العظماء ، بالاضافة إلى كيمورا استاذ الشطرنج وتاكاغي أستاذ الـ «رينجو»[٧] . لقد اجتمع شملهم لافتتاح مباراة الأستاذ الأخيرة بدعوة من الصحيفة الراعية للمباراة . كنت أنا ، المراسل الخاص للصحيفة ، أجلس قرب تاكاغي . إلى يمين أوتاكيه جلس محرر ومدراء الصحيفة ، سكرتير ومدراء رابطة الـ «غو» في اليابان ، ثلاثة أبطال كبار في لعبة الـ « غو » من المرتبة السابعة ، أونودا من المرتبة السادسة ، وكان عضواً في لجنة المحكمين ، وعدد من تلاميذ الأستاذ .

أبدى المحرر بعض الملاحظات التمهيدية ، بعد استعراض المجموعة التي ارتدت الزي الياباني التقليدي . سيطر التشويق على الغرفة حين بُدىء بتحضير الرقعة في الوسط . ظهرت توترات الأستاذ الصغيرة من جديد وهو يواجه رقعة الـ « غو »، خصوصاً هبوط الكتف الأيمن . هناك نحول الركبتين

أيضاً ! بدت المروحة ضخمة . أومأ أوتاكيه بعينيه المغلقتين ومال برأسه هنا وهناك .

نهض الأستاذ حاملاً مروحته المطوية ـ وكان يوحي بهيئة المحارب الذي يعدّ مديته . جلس إلى الرقعة . كانت أصابع يده اليسرى معلقة بحاشية الكيمونو ويده اليمنى مطبقة برفق . رفع رأسه ونظر أمامه مباشرة . جلس أوتاكيه في مواجهته . بعد انحنائه للأستاذ تناول وعاء الأحجار السوداء من الرقعة ووضعه على يمينه . انحنى ثانية وأغلق عينيه ولبث هكذا بلا حراك .

« هلاّ بدأنا ؟ » قال الأستاذ .

كان صوته خافتاً لكنه مشبع بالعمق ، كأنه يتعجل أوتاكيه . هل كان يحتج على صفة التكلف في سلوك أوتاكيه ؟ هل كان تواقاً لخوض المعركة ؟ فتح اوتاكيه عينيه وأغلقهما من جديد . خلال جولات ايتو كان يقرأ « لوتس سوترا » في صباحات اللعب ـ وبدا أنه الآن يلمّ شتات نفسه بالتأمل الصامت . فجأة ، علت جلبة الأحجار فوق الرقعة . كان ذلك في الدقيقة العشرين قبل الظهر .

هل سيكون الافتتاح جديداً ؟ « نجمة » أم « كوموكو »؟[٨] كان العالم يتساءل هل سيشن أوتاكيه هجوماً جديداً أم قديماً ؟ كانت لعبة أوتاكيه محافظة في ١٦ ـ R داخل الزاوية اليمنى العلوية ؛ وهكذا انكشف واحد من الألغاز .

حدق الأستاذ في افتتاح « كوموكو » ويداه فوق ركبتيه . تحت ضوء آلة التصوير الباهر ظلّ فمه مطبقاً بشدة حتى نتأت شفتاه ، وبدا أن المجموع المتحلق حوله قد غادر عالمه . هذه هي المباراة الثالثة التي أشهدها للأستاذ ؛ وكلما جلس إلى رقعة الـ « غو » كان يطلق أريجاً هادئاً يلّطف الجو من حوله وينقيه . أوشك أن يلعب بعد خمس دقائق ، ناسياً أنه يتوجب عليه ختم لعبته .

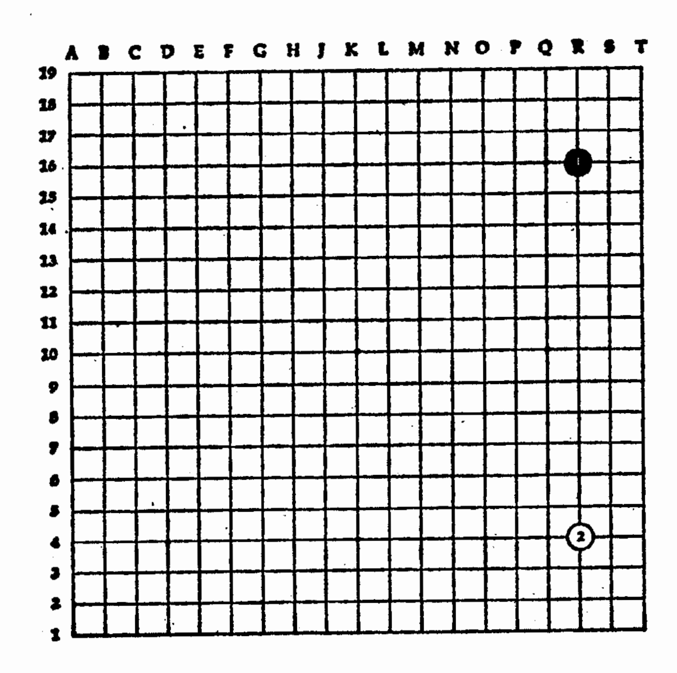
« أظن يا سيدي أننا رتبنا الأمر بحيث تكون لعبتك مختومة ؟ » سأل

أوتاكيه . ولكني أعتقد أنك لن تشعر بممارسة اللعب حقاً اذا لم تلعب على الرقعة ».

ذهب الأستاذ إلى الغرفة الثانية بصحبة سكرتير رابطة الـ « غو ». حين أغلق الباب دوّن لعبته الافتتاحية ، الأبيض ٢ ، على جدول خاص وضعه في مغلف . واللعبة المختومة تعدّ لاغية اذا كان أحد القريبين من اللاعب يراها .

« يبدو أن الماء غير متوفر هنا » قال عند عودته إلى الرقعة . رطّب اصبعيه بلسانه ثم ختم المغلف ووقّع اسمه على الختم . وقّع أوتاكيه في الأسفل . وضع المغلف في مغلف أكبر ووضع أحد الاداريين ختمه عليه ، ثم أودع في خزينة كويوكان .

انتهت مراسيم الافتتاح .



رغب كيمورا ايهي بالتقاط صور ينقل فيها المباراة إلى العالم الخارجي ، فطلب من اللاعبين العودة إلى مكانيهما . استرخت المجموعة الحاضرة ، وتجمع الأساتذة من المرتبة السابعة للتمعن في الرقعة والأحجار . اختلفت التقديرات حول سماكة الأحجار البيضاء ، فلعلها ربع بوصة أو خمسها .

« انها أفضل ما يجده المرء في أي مكان »، قال كيمورا استاذ الشطرنج . « هل أستطيع لمس بعضها ؟ » تناول حفنة منها .

قد تكون رقع الـ « غو » ذات فائدة كبيرة ، وقد أحضر العديد من اللاعبين رقعاً يفخرون بها ، وكانوا كمن يطلب الاذن بممارسة لعبة واحدة في هذه المباراة الأعظم بين المباريات .

بدأت المأدبة بعد انفضاض الاجتماع .

كان كيمورا أستاذ الشطرنج في الرابعة والثلاثين من عمره ، وكان سيكينيه الثالث عشر بين اساتذة الشطرنج العظماء في الواحدة والسبعين ، أما تاكاغي استاذ الـ « رينجو » فكان في الواحدة والخمسين . . وكانت أعمار الجميع وفق التقويم الشرقي .

(١٠)

ولد الاستاذ سنة ١٨٧٤ ، فاحتفل بعيد ميلاده الرابع والستين قبل أيام قليلة بحضور لفيف متواضع يناسب حال الأزمة الوطنية .

« اتساءل أيّنا أكبر ، كويوكان أم أنا » هكذا لاحظ قبل الجولة الثانية .

استعاد ذكرياته حول حقيقة أن لاعبي الـ « غو » في ميجي من أمثال موراسيه شوهد من المرتبة الثامنة ، وشوي الأستاذ في مجموعة هوينمبو التي ينتمي اليها ـ قد لعبوا هنا في كويوكان .

أقيمت الجولة الثانية في غرفة علوية تلوح عليها نضارة ميجي . كانت الزخارف متوافقة مع معنى تسمية كويوكان « دار أوراق الخريف ». كانت الأبواب المنزلقة والألواح الزجاجية المعشقة في الأعلى مزيفة بأوراق القبقب ، وكانت الستارة في الزاوية تزهو بأوراق القبقب المرسومة وفق طراز كورين . أما ترتيب الردهة فيقوم على الأوراق دائمة الخضرة ونبتة الدهلية . فتحت أبواب الغرفة الثامنة عشرة على الغرفة الخامسة عشرة المجاورة لها ، حتى لا يبدو الترتيب المغالى فيه شاذاً عن روح المكان ، كانت أوراق الدهلية ذاوية بعض الشيء . لم يدخل أحد إلى الغرفة ولم يخرج منها ما خلا الخادمة ذات دبابيس الشعر الوردية ،والتسريحة اليابانية الطفولية ، التي كانت تجيء أحياناً لسكب الشاي . مروحة الأستاذ ، التي انعكست على طبق أسود من الليلك ملأته الخادمة بالماء المثلج ، كانت ساكنة تماماً . كنت المراسل الوحيد الحاضر .

ارتدى أوتاكيه المصنف سابعاً كيمونو أسود غير مخطط من حرير هابوتاري اللامع وعباءة خشنة النسيج . أما الأستاذ فكان أقل اكتراثاً بالمظهر الرسمي

فارتدى عباءة ذات نسيج مطرز . استبدلت رقعة اليوم الأول بأخرى غيرها .

كانت اللعبتان الافتتاحيتان استعراضيتين ، وبدأ اللعب الجدي هذا اليوم . بعد أن أمعن التفكير بالأسود ٣ روّح أوتاكيه بمروحته وطوى يديه وراء ظهره ثم وضع المروحة على ركبته كوسيلة اضافية تدعم ارتكاز ذقنه على يده . خلال لحظات تفكيره أخذ تنفس الأستاذ يزداد سرعة وكتفاه يرتفعان وينخفضان . لا شيء يوحي بالاضطراب . ظلت ارتعاشات كتفيه منتظمة . كنت أرى فيها محاولة شبيهة بتركيز العنف ، أشبه بمقارفات سلطة صوفية غامضة استحوذ الأستاذ على أحاسيسي .

كان التأثير أشد لأن الاستاذ نفسه بدا غافلاً عما يجري داخله . انقضى العنف على الفور . عاد الاستاذ إلى هدوئه ثانية . كان تنفسه عادياً وإن كان المرء لا يجزم في تحديد لحظة لجوئه إلى السكينة ، تساءلت : أهذه علامة افتراق أم عبور خط لروح تواجه المعركة ؟ هل أكون شاهداً على روح الأستاذ وهي تتلقى وحيها في اللا شعور ؟ هل أكون ضيفاً على الالهام ؟ أم أنني كنت أراقب العبور إلى التنوير حيث تخترق الروح كامل معنى الهوية فتخمد نيران الصراع وتنطفىء ؟ أكان هذا هو الذي صنع « الاستاذ الذي لا يقهر » ؟ .

في بدء الجولة ألقى أوتاكيه تحياته الرسمية ، ثم قال بعدها : « أرجو الا تمانع يا سيدي في نهوضي بين الفينة والأخرى ».

« أعاني من المتاعب ذاتها » أجاب الأستاذ . « يتعين علي الاستيقاظ مرتين أو أكثر كل ليلة ». كان غريباً ان يبدو الأستاذ بمظهر من لا يتفهم هذا التوتر العصبي الذي أصاب أوتاكيه رغم تفهمه الظاهر .

حين أعمل أنا شخصياً ، اشرب الشاي دون انقطاع وأغادر مكتبي على الدوام ، كما أعاني من بعض الاضطرابات العصبية والهضمية ، لكن متاعب أوتاكيه أشد وطأة ، كان فريداً بين متباريي الربيع الكبير والدورات الخريفية . . يفرط في الشراب من الوعاء الذي يبقيه قربه . وو[9] المصنف سادساً ، والذي كان يوماً ما واحداً من خصومه الأكثر اثارة للاهتمام ـ كان يعاني بدوره من سلس البول أمام رقعة الـ « غو ». لقد رأيته

ينهض عشر مرات وأكثر خلال أربع أو خمس ساعات من اللعب . ورغم أنه غير مصاب بإدمان أوتاكيه على الشاي ، فالحال سواء (وهي حقيقة محيرة) حيث تتناهى الأصوات من المبولة كلما غادر الرقعة . وفي حالة أوتاكيه لا تقتصر الصعوبة على مرض سلس البول بل إن المرء يلاحظ أنه يترك رداءه الخارجي وراءه في القاعة ، كما يترك الأوبي أيضاً .

بعد ست دقائق من التفكير لعب الأسود ٣ ، وقال على الفور « اعذرني من فضلك » ثم نهض . حين لعب الأسود ٥ نهض من جديد .

أشعل الأستاذ لفافة من العلبة الموضوعة في جيب الكيمونو .

حين تدبّر الأسود ٥ دس أوتاكيه يديه في جيبه وطوى ذراعيه وأسبل يديه قرب ركبتيه ، ونفض كتلة غير مرئية من الغبار عن الرقعة ، وقلب احدى أحجار الأستاذ البيضاء ليعيدها إلى وضعها الصحيح . لو كان للأحجار البيضاء وجه وقفا فينبغي أن يكون الوجه هو الجانب الداخلي غير المتقشر من كتلة الصدف ؛ لكن القلائل فقط يعيرون اهتمامهم لهذه التفاصيل . الأستاذ يلعب أحجاره دون اكتراث بأي جانب ـ وأوتاكيه يصلح أوضاعها بين الحين والآخر .

« الأستاذ في منتهى الهدوء » قال أوتاكيه مرة ، نصف مازح . « يكاد الهدوء يقتنصني . أفضل الضجيج . كل هذا الهدوء يجهدني ويستهلكني » .

كان أوتاكيه أقرب إلى مزاج المزاح حين يكون أمام الرقعة ، لكن مزاجه انقلب إلى شيء من البلادة لأن الأستاذ لم يبد أية ملاحظة على تعليقاته . كان أوتاكيه خنوعاً بصورة غير مألوفة ، في مباراته هذه مع الأستاذ .

لعل الرصانة التي يتميز بها المحترفون الحقيقيون أمام الرقعة لا تكتمل إلا في أواسط العمر ، فالشباب لا يعبأون بها على الأرجح . في كل الأحوال ـ يحشد اللاعبون الشباب كافة أساليب المراوغة الغريبة . أغرب الحالات بالنسبة لي تمثلت في لاعب شاب من المرتبة الرابعة يفتح مجلة أدبية يضعها على ركبتيه ويقرأ قصة خلال انتظاره لخطوة خصمه التالية ، وذلك في

ذروة الدورات الكبرى حين تنتهي النقلة يرفع بصره ، يفكر في لعبته التالية ، يلعبها ، ثم يلتفت دون اكتراث إلى مجلته . بدا أنه يهزأ من خصمه وقد لا يفاجأ المرء اذا أبدى الآخر امتعاضه . وذات يوم سمعت أن اللاعب الشاب سرعان ما أصيب بمس من الجنون ـ ولعله لم يستطع تحمّل فترات التفكير تلك بأعصابه المشدودة القلقة .

وتناهى إليّ أن وو المصنف سادساً وأوتاكيه المصنف سابعاً طلبا عرّافاً وسألاه النصح في كيفية الفوز . وأفادهما العراف أن الطريقة المثلى هي فقدان كامل الوعي بالذات أثناء انتظار نقلة الخصم . بعد سنوات من هذه المباراة الاعتزالية وقبيل وفاته بقليل ، سجّل أونودا المصنف سادساً وأحد محكّمي مباراة الاعتزال رقماً قياسياً ممتازاً في الأدوار النهائية ، وأعطى دليلاً على المنابع الثرّة التي خلقها . كانت طريقته في اللعب فائقة حقاً . خلال فترات الانتظار كان يجلس هادئاً ويغلق عينيه . فسر ذلك بأنه كان يطهر نفسه من شهوة الفوز . بعد زمن قصير من الدورة دخل المشفى ومات وهو يجهل انه مصاب بسرطان المعدة . هناك أيضاً كوبوماتسو ، المصنف سادساً وأحد أساتذة أوتاكيه في صباه ، الذي صنع بدوره سلسلة من الانتصارات في الدورة الأخيرة وقبل وفاته .

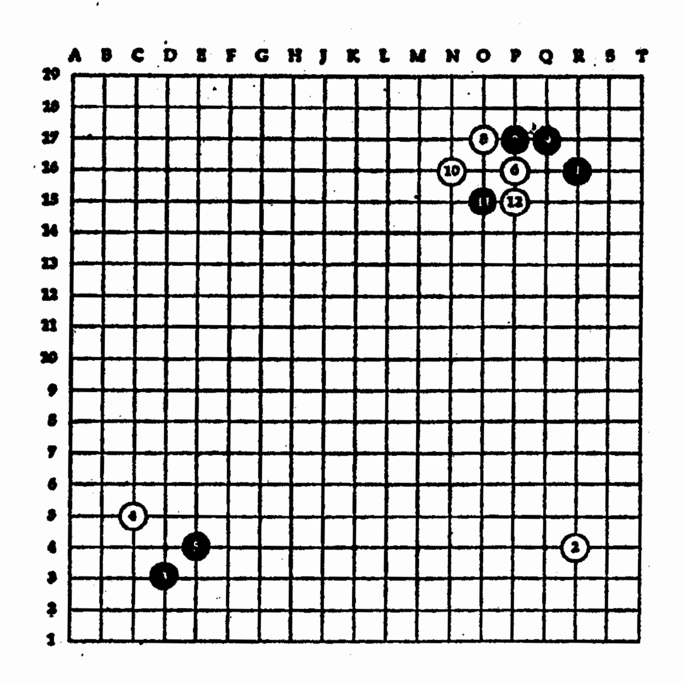
في جلوسهما إلى الرقعة قدم الأستاذ وأوتاكيه نموذجاً للتعارض الصارخ : الهدوء أمام الحركة الدائبة ، سكون الأعصاب أمام التوتر العصبي . لم يكن الأستاذ يغادر الجولة اذا انخرط فيها ، واللاعب قادر في أحيان كثيرة على استخلاص فائدة كبيرة من طريقة خصمه وتعابيره ؛ ولكن يقال أن الأستاذ هو الوحيد بين اللاعبين الذي لا يعطي شيئاً . كانت مباراة أوتاكيه أبعد ما تكون عن العصبية رغم ما يسودها من توتر ظاهر . كانت لعبة جبارة مركزة . ينهمك في تفكير مطوّل فيفوته الوقت عادة . وإذ تقترب ساعة الصفر يسأل المسجل اعلامه بما تبقى من ثوان ، وفي الدقيقة الأخيرة ينفذ مئة لعبة ومئة وخمسين ، بعنف جارف يبدو فيه وكأنه يخترق أعصاب خصمه .

كان أسلوب أوتاكيه في الجلوس والنهوض أشبه بمن يعد نفسه للمعركة . الأسلوب بالنسبة له كالتنفس المتسارع عند الأستاذ . لكن ارتعاشة الكتفين

النحيلين المحدودبين هي التي أثارت دهشتي البالغة . لقد شعرت أنني شاهد غير مدعو إلى حلول سري للإلهام ، حلول مؤلم ساكن مجهول من الأستاذ وغير مدرك من الآخرين . لاح فيما بعد أنني تجاوزت حدود نفسي كثيراً . لعل الأستاذ أحس بدفقة ألم في صدره فقط . وضع قلبه ازداد سوءاً بتطور المباراة ، ولعله أحس بالنوبة الأولى في تلك اللحظة . كنت غافلاً عن اعتلال القلب فصدر ردّ فعلي منطلقاً من الحرص على الأستاذ . كان يتوجب أن أكون أكثر برودة من الناحية العقلية . لكن الأستاذ نفسه بدا غافلاً عن مرضه وعن تنفسه الثقيل . لم ترتسم على وجهه أية علامة للألم أو التوعك ، كما لم يضغط بيده على صدره .

استغرقت لعبة أوتاكيه الأسود ٥ عشرين دقيقة ، واستغرق احدى وأربعين دقيقة للأبيض ٦ ، وهي أول فترة تفكير طويلة في المباراة. ولأن الترتيب يقضي بأن يقوم اللاعب الذي يحل دوره في الرابعة بعد الظهر بختم لعبته ، فستكون اللعبة المختومة من نصيب الأستاذ إلا إذا لعب خلال دقيقتين . جاءت لعبة أوتاكيه الأسود ١١ قبل دقيقتين من الوقت المحدد . ختم الأستاذ الأبيض ١٢ في الدقيقة الثانية والعشرين بعد الموعد .

السماوات التي كانت صافية في الصباح تلبدت الآن بالغيوم . العاصفة[١٠] التي ستجلب السيول الى شرق وغرب اليابان كانت تغذ السير .



(١١)

كان ينبغي أن تبدأ جولة كـويوكـان الثانيـة في الساعـة العاشـرة ، لكنها أجّلت حتى الثانية لحدوث سوء في الفهم . وبعيداً عن كل شيء ، فقد كنت مجرد متفرج . لكن الاداريين لم يفلحوا في اخفاء ذعرهم . انـدفعت الرابـطة بأكملها إلى المشهد كما اعتقدت ، لتجتمع في غرفة أخرى .

وصلت لحظة وصول أوتاكيه ، الذي تأبط حقيبة كبيرة .

« ولماذا الأمتعة ؟ » سألته .

« نعم »، أجاب بالطريقة المباغتة التي عرفت عنه قبل الجولة ، « لغادر الى هاكونيه اليوم . سيختتم اللعب هناك حتى تنتهي المباراة ».

ترامى إليّ أن المتبارين سيذهبان من كويـوكان إلى نـزل هاكـونيه . لكن مواصفات أمتعة أوتاكيه أفزعتني بعض الشيء .

لم يجر الأستاذ أية ترتيبات للانتقال .

قال الأستاذ : « أوه ، هل يفكرون بـذلك ؟ سـوف استدعي حـلاقاً في هذه الحالة ».

كان يثبط من عزيمة أوتاكيه الذي بـات مستعداً تمـاماً لمغـادرة المنزل حتى نهاية المباراة ، طوال ثلاثة أشهر ربما . كان الأستـاذ يفسخ العقـد . لم تُهدّيء غضبة أوتاكيه حقيقة عدم تأكد الجميع من درجة الوضوح في البنود التي نقلت للأستاذ . كان ينبغي أن تكون صارمة وحصينة ، وخرقها بهذه السـرعة تـرك أوتاكيه في حالة قلق حول المسار المقبل للمباراة. لقد أخطأ الاداريون في عدم تفسيرها له من جديد . ما من أحـد كان مستعـداً لتحديـه رغم ذلك . كـان يحتل مرتبة فريـدة وحيدة ، والحـل الواضـح انحصر في تملق أوتـاكيه الشـاب

ليواصل اللعب في كويوكان . برهن أوتاكيه أنه عنيد بعض الشيء .

حسناً ، ليكن ذلك ، ما دام الأستاذ يجهل أن موعد الانتقال إلى هاكونيه هذا اليوم . تجمع البعض في غرفة أخرى ، تسارع وقع خطوات عصبية في الممرات ، اختفى أوتاكيه فاصل استراحة طويل . لم يكن لدي ما أفعله أفضل من الانتظار قرب رقعة الـ « غو ». بعد فترة وجيزة من موعد الغداء المألوف توصلوا إلى اتفاق ، تكون جولة اليوم والثانية وحتى الرابعة ، وبعد يومين من الراحة يذهب الفريق إلى هاكونيه .

ولن يتاح لنا البدء فعلياً خلال ساعتين « قال الأستاذ . « لننتظر حتى بلوغ هاكونيه فنخوض جولة لائقة ».

نقطة جديرة بالاعتبار ، ولكن لم يكن يسمح له بمتابعة طريقه ، تلك الملاحظات وحدها كفيلة باثارة النزاع ذلك الصباح . كانت روح اللعبة قمينة بالحؤول دون تغييرات تعسفية في الجدول الزمني . مالت لعبة الـ « غو » الى الوقوع تحت سيطرة قواعد جامدة هذه الأيام . ولقد جرى انضاج ظروف مدروسة للعبة الأستاذ الأخيرة ، لإبقاء تصلبه عتيق الطراز تحت المراقبة ، لأفكاره ، للوضع الخاص ، لضمان المساواة التامة .

كان نظام « ختم اللاعبين في علب الصفيح » فعالاً ويجب المضي به حتى النهاية . كان مناسباً أن يذهب اللاعبون مباشرة من كويوكان إلى هاكونيه . ويقضي النظام بعدم مغادرتهم للموقع المحدد أو لقائهم بلاعبين آخرين قبل ختام المباراة ، الا اذا تلقوا توجيهاً بذلك . قد يوصف النظام بالحرص على حرمة المنافسة . قد يقال أيضاً أنه ينكر الكرامة الانسانية ، ولكنه ضمن إطار التوازن يلبي سلامة اللاعبين واستقامتهم دون شك . بدت مثل هذه الاحتياطات ضرورية بصورة مضاعفة ، في مباراة يتوقع لها أن تدوم ثلاثة أشهر . وأيّاً كانت رغبات اللاعبين أنفسهم فإن خطر التدخل الخارجي حقيقي ولا يقف عند حدّ فيما تثار الشكوك . كان لعالم الـ «غو» ضميره وأخلاقه بالطبع ، وبدا التشابه طفيفاً ، وسيتقوّل البعض حول لعبة تستغرق جلسات مضاعفة من جهة اللاعبين أنفسهم على الأقل ؛ ومرة أخرى ، حين

يتم الاستثناء فهو لن يقف عند حد .

) في العقد الأخير أو نحوه من عمره لعب الأستاذ ثلاث مباريات على اللقب . في المباريات الثلاث سقط مريضاً والمباراة في مراحلها المتوسطة . ظل طريح الفراش بعد الأولى ، وتوفي بعد الثالثة . لقد انتهت جميعها ، ولكن التصفيات جعلت الأولى تستغرق شهرين والثانية أربعة والثالثة ـ والتي أعلن أنها الأخيرة ـ ستة شهور تقريباً .

أقيمت الثانية سنة ١٩٣٠[11]، قبل خمس سنوات من الأخيرة . كان وو المصنف خامساً هو المتحدي . كان الجانبان يقفان ضمن توازن حساس والمباراة تقترب من مراحلها الوسيطة ، وعند الأبيض ١٥٠ بدا الأستاذ في الوضع الأضعف . ثم قام بلعبة فائقة في الأبيض ١٦٠ وأصبح انتصاره مؤكداً ، سرت الشائعات آنذاك أن اللعبة كانت من تدبير مايدا أحد تلامذة الأستاذ المصنف سادساً . حتى الآن يحيط الشك بالحقيقة ، حيث انكر مايدا بنفسه هذا الاتهام . استغرقت اللعبة أربعة شهور ، ولا شك في أن تلامذة الأستاذ درسوها بعناية فائقة ، قد تكون الأبيض ١٦٠ من ابتكار أحدهم ، ولعل أحدهم مرّرها للأستاذ باعتبارها فتحاً باهراً . لعل اللعبة كانت من صنع الأستاذ ذاته . الأستاذ وتلامذته وحدهم يعرفون الحقيقة .

في عام ١٩٢٦ جرت أولى المباريات الفعلية ، بين الرابطة ومجموعة منافسة هي الكيسيشا ، وخاضت ألوية القوتين ممثلة بالأستاذ وكاريغاني المصنف سابعاً معركة واحدة اقتضت من القوتين المتنافستين دراسة متمعنة واسعة دامت شهرين كاملين . وفي كل الأحوال ، لا يسع المرء الجزم بأن التلامذة قدموا النصح إلى قادتهم الأجلاء ، لكني أميل إلى الشك في أنهم فعلوا . لم يكن الأستاذ من النوع الذي يسأل النصح ، وهو رجل لا تسهل مقاربته بالنصح . كانت هيبة فنه من النوع الذي يختزل المرء إلى درجة الصمت .

دهش الاداريون ودهشت أنا . لقد تدبّر أوتاكيه نقلته الأولى في إيتو اثر معاودة اللعب بعد توقف دام ثلاثة أشهر : مئتين واحدى عشرة دقيقة ،

ثـلاث ساعـات ونصف ، بدأ يفكـر في العاشـرة والنصف صبـاحـاً ، وبعـد استراحة ظهيرة دامت ساعة ونصف لعب أخيراً حـين كانت شمس الخـريف تغيب والضوء الكهربائي يرتعش فوق الرقعة .

قبل عشرين دقيقة من الثالثة لعب الأسود ١٠١ .

رفع بصره ضاحكاً . « انظر كم أبدو غبياً ! ما كان ينبغي لي أن أستغرق دقيقـة واحـدة لقفـزة كهـذه . ثـلاث سـاعـات ونصف لتقـريـر القفـز أو السباحة[12] . أمر مضحك ». ثم قهقه ثانية .

ابتسم الأستاذ بوهن ولم يجب .

الأمر كما ذكـره أوتاكيـه : كانت نقلة الأسـود ١٠١ واضحة لنـا جميعاً . اللعبـة تدخـل مراحلهـا الحاسمـة وحان الـوقت لـلأسـود كي يغـزو تشكيلة الأبيض في الزاوية اليمنى السفلى ، والنقطة التي تركزت عنـدها اللعبـة أخيراً تقدم مجرد بداية عقلانية . بـالاضافـة الى « قفزة » المربع الواحد إلى R ١٣ كانت « السباحة » عند R ١٢ امكـانية واردة ، ورغم أن القليـل من التردد كان مفهوماً ، فلم يكن للفارق اعتبار كبير .

لماذا إذن استغرق هذا الوقت الطويل ؟ حين مللت الانتظار المديد رأيت في الأمـر غرابـة محضة أولاً ، ثم سـاورتني الشكوك . أكـان المـوقف بـأسـره استعـراضياً ؟ أكـان استفزازيـاً ؟ أم هو تمـويه ؟ لـدي أسباب لهـذه الشكوك القـاسية . استؤنف اللعب بعـد توقف الشهـور الثلاثـة . هل كـان أوتاكيـه يدرس الرقعة طيلة هذه الشهور ؟ عند اللعبـة المئة أصبحت المبـاراة حساسـة ومتوفرة . قد تتصف المراحل الأخيرة بقدر من الحزم والاندفاع ، لكن المسألة قـد تظل مـوضـع شـك حتى النهـايـة . يتعـذر الخـروج بتصميم حقيقي عن النتيجـة بصـرف النـظر عن مـدى وتشكيـل الأحجـار ، فـالبحث والمنـاورة يستمـران إلى ما لا نهايـة . يظهـر مع ذلـك ان أوتاكيـه ليس الشخص الذي يهمـل دراسـة مبـاراة هـامـة كهـذه . لقـد صرف ثـلاثـة شهـور في التفكـير بالأسود ١٠١ . انه الآن يستغرق ثلاث ساعات ونصف في لعبة واحدة ، ألا يصح أنه ينبغي تغطية نشاطاته خلال هذه الأشهر الثلاثة ؟ لاح ان المنـظمين

يشاركونني شكوكي وتبرمي .

ألمح الأستاذ نفسه عن عدم رضاه ، وذلك خلال استراحة كان فيها أوتاكيه خارج الغرفة . « انه يأخذ راحته » تمتم لنفسه . لم يسبق للأستاذ أن تفوه بشيء نقدي عن خصمه خلال مباراة على اللقب، مهما كانت المسائل الناشئة خلال الممارسة .

لكن ياسوناغا المصنف رابعاً ووثيق الصلة بالأستاذ وأوتاكيه على حد سواء لم يوافقني الرأي . « لا يبدو أن أيّاً منهما قام بشيء كثير خلال توقف المباراة » هكذا قال . « أوتاكيه شخص يصعب ارضاؤه . لن يكون راغباً في القيام بأي شيء ما دام الأستاذ يرقد في فراشه عاجزاً » .

لعلها الحقيقة . لعل أوتاكيه خلال الساعات الثلاث لم يكن يمعن التفكير في لعبه فقط ؛ كان يستجمع شتات نفسه أمام الرقعة بعد ثلاثة شهور من الغياب ، ويبذل ما بوسعه لمسح اللعبة الناجزة ، خلال كل المراحل والتشكيلات التي ستمرّ بها .

(١٢)

كانت هذه تجربة الأستاذ الأولى في اللعبة المختومة . في بدء الجولة الثانية جيء بالمغلف من خزينة كويوكان ودقق الخاتم من قبل المتباريين بحضور سكرتير الرابطة شاهداً . المتباري الذي وضع اللعبة المختومة أظهر الجدول لخصمه ، ووضع الحجر في مكانه المناسب على الرقعة . كان الإجراء نفسه يتبع في هاكونيه وإيتو . كانت اللعبة المختومة في حقيقتها طريقة لإخفاء اللعبة الأخيرة من الجولة عن الخصم .

في المباريات التي تدوم جولات عدّة ، جرت العادة منذ زمن بعيد أن ينفذ الأسود اللعبة الأخيرة من الجولة ، كمظهر مجاملة نحو اللاعب الأكثر تقديراً . ولأن العرف يعطي أفضلية للأخير فقد عولج الإجحاف بجعل اللاعب الذي يحين دوره في نهاية الجولة المقررة مسبقاً ـ وتدوم خمس ساعات مثلاً ـ ينفذ اللعبة الأخيرة . ثم أجيز تعديل اضافي هو ختم اللعبة الأخيرة . حذت لعبة الـ « غو » حذو الشطرنج ، مبتكر اللعبة المختومة للمرة الأولى . كان الهدف هو تصفية اللاعقلانية الظاهرة المتمثلة في منح الفرصة للاعب الأول في بداية الجولة باعتباره شاهد اللعبة الأخيرة وشاهد الجولة بأكملها ، وقد يستغرق الأمر عدة أيام ، يتفكر خلالها بلعبته التالية ، دون حساب الأستراحات المطولة ضمن زمنه المخصص له .

وقد يقال أن الأستاذ ابتلي في مباراته الأخيرة بعقلانية حديثة تمثل القواعد المنمقة كل شيء فيها وتختفي عنها مهابة ورونق الـ « غو » كفن ، وتتغاضى تماماً عن كل احترام للأسلاف السابقين ـ وتعلّق أهمية على الاحترام المتبادل بين الكائنات البشرية . تلاشى جمال اليابان والشرق من الـ « غو » . أصبح كل شيء علمياً ومنتظماً . أصبح طريق الصعود في المرتبة هو الذي يسيطر

على حياة اللاعب ، نظام النقطة المسهدة . كان المرء يمارس اللعب كي يفوز فقط ، وما من هامش لاستذكار كرامة ونكهة فن الـ «غو». لقد تمثل في الطريقة الحديثة ذلك الالحاح على خوض المعركة تحت شروط العدل المجرد ، حتى عندما يطال التحدي الأستاذ ذاته . لم يكن الخطأ من صنع أوتاكيه . ولعل ما حدث أمر طبيعي فقط ، فالـ « غو » تنافس وتبار في اظهار القوة .

لم يلعب الأستاذ بالأسود لأكثر من ثلاثين سنة . كان الأول بينهم جميعاً ، ولم يتحمل الأمر ثانية واحدة . وخلال بقائه على قيد الحياة لم يتجاوز حديثو العهد باللعبة المرتبة الثامنة . لقد أبقى المعارضة تحت سيطرته طيلة الحقبة التي تسيّرها ، ولم يتوفر من تتجاوز مرتبته حافة الجيل التالي ، واليوم ، بعد عقد من وفاة الأستاذ ، تبدو حقيقة غياب الوسائل الكفيلة بتحديد خليفة يحمل لقب استاذ الـ «غو» مرتبطة ربما بالحضور الطاغي لهوينمبوشوساي . لعله كان آخر الأساتذة الحقيقيين الأصلاء لإرث الـ «غو» كمنهج في الحياة والفن .

ربما بات مؤكداً أن يصبح لقب « الأستاذ » في تصفيات البطولة علامة على القوة فحسب ، وأن الموقع سيكون أشبه بلواء انتصار وأصل تجاري لممثل منافس . قد يقال حقاً ان الأستاذ باع مباراته الأخيرة لصحيفة ما بسعر لا سابق له . لم ينخرط في الصراع كما ينبغي له أو كما تسمح له نفسه مستجيباً لإغواء الصحيفة . وقد يصح أيضاً أن تكون فكرة أستاذ مدى الحياة أو فكرة الدرجات والمراتب ـ الشائعة لدى مدارس وأساتذة العديد من الفنون اليابانية القديمة ـ أثراً اقطاعياً مندثراً . ولو كان مفروضاً على الأستاذ خوض مباريات اللقب السنوية كما يفعل أساتذة الشطرنج لكان قد لاقى حتفه قبل سنوات من موعد وفاته .

في الأزمنة الغابرة كان حامل اللقب يبدو وكأنه يتفادى المنافسة الحقيقية حتى في المباريات التدريبية لخشيته من الحاق الأذى باللقب . ربما لم يسبق للأستاذ أن خاض مباراة على اللقب وعمره يتقدم نحو الرابعة والستين . أما في المستقبل فلم يعد ممكناً التفكير بوجود أستاذ لا يلعب . قد يبدو شوساي

الأستاذ وكأنه واقف ـ بمعان مختلفة ـ في الحد بين القديم والجديد . كان في الوقت ذاته يحتل المقام الرفيع للأستاذ القديم والمكاسب المادية للجديد . لقد مرّ زمن كانت فيه روحه مكونة من مزيج من الوثنية والنيل من المعتقدات والأعراف ، ودخل الأستاذ مباراته الأخيرة كآخر من تبقى من آلهة القديم .

ومن حسن طالعه أنه ولد في بواكير ميجي ، وربما لم يعد ممكناً لغيره ، مثل وو ـ شينغ ـ يوان الذي يمت لعصرنا ـ ممن يجهلون دموع الوداع التي صرف فيها الأستاذ سنوات دراسته ـ أن يجمع في شخصه وحده بانوراما شاملة للتاريخ . ليس ممكناً . . حتى لو كان الرجل أشد عبقرية في الـ « غو » من الأستاذ . كان رمزاً للـ « غو » بالذات ، هو وسجله المضيء في ميجي وتايشو وشووا ، وانجازاته في نقل اللعبة نحو ازدهارها الحديث . كان حرّياً بمباراة تنهي احتراف الأستاذ أن تنطوي على رعاية حانية لخلفه من الشباب ، على نبالة وحنكة نهج المحارب ، على الجلالة الصوفية للفن ، وعلى كل ما يجعلها ذروة شاخة . . . لكن الأستاذ ليس قادراً على الصمود خارج قواعد المساواة .

حين ينجز القانون ينشط الدهاء في إيجاد المنافذ والثغرات . لا ينكر المرء وجود بعض الخبث في نفوس اللاعبين الأصغر ، وهو خبث يستفيد من القواعد ذاتها حين توضع القواعد لمنع الخبث . في الترسانة هناك استخدامات لا تحصى لمعدل الوقت واللعبة الأخيرة قبل التعليق ، اللعبة المختومة ؛ وهكذا تلطخت سمعة الـ « غو » كعمل فني . كان الأستاذ رجلاً ينكفىء إلى القديم كلما واجه الرقعة . لم يكن يعرف شيئاً عن أحابيل النهار الختامي وتعديلاته . خلال احترافه الطويل في التباري كان شيئاً طبيعياً للغاية أن يتصرف الأقدم في المرتبة على نحو تعسفي ، طالباً إيقاف جولة اليوم عندما يجبر خصمه على لعبة عاثرة . لم تكن هناك محاصصة في الوقت . والطرق التعسفية التي منحت للأستاذ جعلته يشق طريقه الفني ، جعلته متفوقاً بلا مقارنة في لعبة الاختتام وكافة قواعدها .

لم يكن الأستاذ معتاداً على هذه المساواة الجديدة بل على الامتيازات

القـديمة ، وقـد سرت شـائعات بشعـة حين خـرجت مباراتـه مع وو المصنف خامساً عن الجدول الزمني ؛ وهكذا يبدو أن الأحدث عهداً منـه ، في تحديهم له بهذه المباراة النهائية ، قد فرضوا أشد القواعد لكبح نزوعاته الدكتاتوريـة . لم تكن قواعد المباراة قد وضعت من قبل الأستاذ وأوتاكيه . لقـد نفّذ أعضـاء بـارزون في الرابـطة دورات تصفية لتقـرير المتحـدي ، ودونت القوانـين قبـل المباشرة . كان أوتاكيه ، ممثل الرابطة ، يكتفي بمحـاولة جعـل الأستاذ يسبـغ صفة الشرف على هذه القوانين .

وبسبب مـرض الأستاذ ولأسبـاب أخرى أثيـرت جملة نزاعـات ، وكانت طريقة أوتاكيه المتمثلة في التهديد المتكرر بإبطال المباراة تحمـل في طياتهـا ايحاء العجز من فهم المجاملات الجديدة الاكبر مقـاماً ، والـرغبة في الاشفـاق على رجل مريض ، والعقلانية التي تفقد النقطة الجوهرية أحياناً . لقد سببت قلقاً بالغاً للاداريين ، وبدا دائماً أن الحجج التقنية تصب في اتجـاه أوتاكيـه . فوق ذلك كان محتملاً أن يجرّ السمـاح ببوصـة إلى السماح بميـل ، وأن التهاون في اعـطاء البوصـة يعني الهزيمـة . ينبغي عدم السمـاح بأشيـاء كهـذه في مبـاراة مهمة . لم يكن أوتاكيه ليذعن لأهواء خصمه العجوز ، وهو يدرك أنه يتوجب عليه الفوز . من جهة أخرى أثير شيء يوحي بالتعسف المعتاد ، وكـان الحاح أوتاكيه على رسالة القانون يبدو في نـظري منحصراً في معـظمه ضمن حقيقـة كون الأستاذ هو خصمه .

كانت القواعد بالطبع مختلفـة كل الاختـلاف عن تلك الموضـوعة لمبـاراة عادية . ولكن كان لا بد من توفر احتمال الصراع المرير على الرقعة حتى أثناء اجراء التنازلات حـول مسائـل الزمـان والمكان . هنـاك لاعبون قـادرون على التمسـك بمـرونـة كهـذه . ولعـل الأستـاذ وجـد نفسـه في مـواجهـة الخصم الخاطىء .

(١٣)

في عالم المباريات التنافسية تبدو وسيلة المراقب محصورة في تشييد الأبطال فوق قواهم الفعلية . ان فتح حلبة الصراع أمام الخصوم يثير اهتماماً من نوع ما ، ولكن ألا ينحصر الأمل أيضاً في خلق العبقرية الفذة الفريدة ؟ كانت الأحرف المهيبة التي تشكل لقب « الاستاذ الذي لا يقهر » تخيّم فوق رقعة الـ « غو » . لقد جرت معارك أخرى عديدة خاطر فيها الأستاذ بأقداره ، ولم يخسر أيّاً منها . ربما تقررت نتيجة المنافسات السابقة حول الفوز باللقب بفعل تيارات ونقلات تصادفية . بعد أن أصبح أستاذاً اقتنع العالم بأنه لن يخسر ، وكان ينبغي أن يقتنع بذلك هو أيضاً . هنا تكمن المأساة . عاش شوساي الأستاذ حياة شاقة بالمقارنة مع سيكينيه استاذ الشطرنج ، الذي زادت سعادته حين خسر . ويعلم المرء أن لاعب الـ « غو » يمنح سبع فرص من عشر للفوز ، ولذا كان من طبيعة الأشياء بالنسبة للأستاذ وهو يلعب الأبيض أن يخسر مع أوتاكيه ؛ لكن هذه التعديلات بعيدة عن عالم الهواة .

ربما اقتيد الأستاذ إلى شرك في لعبة لم تصنعها سلطة صحيفة واسعة وأجر مجزٍ فقط ، بل أوحى بها أيضاً حرصه البالغ الحقيقي على فنه . لا مجال للمناقشة في أن شهوة القتال قد استهلكته . لعله كان سيحجم عن المباراة لو خطر له احتمال الخسارة ، فكأنما انتهت حياته حين سقط التاج عن رأسه . لقد اقتفى دروب أقداره غير العادية حتى نهايتها ، ألا يحق للمرء القول أن اقتفاءها يعني تعريضها للهزء ؟ .

لأن الأستاذ الذي لا يقهر ، الأستاذ المعبود يتقدم للمرة الأولى منذ خمس سنين ، فقد وضعت مجموعة قوانين تبدو معقدة على أيامنا هذه . لقد بدت فيها بعد أشبه بنذير الموت .

لكن مجموعة القوانين خرقت في جولة شيبا الثانية ، التي تأجلت حتى ٣ تموز ثم ٨ تموز بسبب السيول . طاف الكانتو وانحدرت السيول في اقليم كوبيه . حتى في اليوم الثامن لم يتمكن قطار توكايدو من بلوغ أوساكا . حين غادرت كاماكورا انتقلت إلى اوغوتا لأن القطار الذي يقل الأستاذ وفريقه جاء من طوكيو . تأخر قطار ٣,١٥ القادم إلى مايبارا تسع دقائق .

لم يتوقف في هيراتسوكا ، حيث يعيش أوتاكيه الذي ظهر فوراً في محطة اوداوارا بثياب صيفية ، بزة زرقاء غامقة وقبعة بانامية مطوية قليلاً عند حافتها . كان يحمل الحقيبة الكبيرة التي أحضرها من كويوكان .

بدأت مهمته الأولى في الاستفسار عن سلامتنا خلال السيول . « ما زالوا مضطرين لاستخدام القوارب للوصول إلى المصح العقلي في نهاية الشارع . استخدموا الطوافات في البداية » .

ركبنا السيارة السلكية من ميانو شيتا وحتى دوغاشيما . كانت هاياكوا ، الواقعة في الأسفل مباشرة ـ موحلة وآسنة . أما نزل تاميسيكان فقد كان أشبه بجزيرة وسط المياه .

بعد أن قادونا إلى غرفتنا مضى أوتاكيه لتقديم تحياته الرسمية للأستاذ . ولأن الأستاذ كان صافي المزاج ذلك المساء بعد أكواب الساكي المعتادة ، فقد تحدث عن هذه المسألة وتلك ، معبراً عن ملاحظاته باشارات وأسارير منطلقة . تحدث أوتاكيه عن أسرته وعن طفولته . تحدّاني الأستاذ في لعبة شطرنج ، وحين أعربت له عن عزوفي تحول إلى أوتاكيه . استغرقت اللعبة ثلاث ساعات ونصف تقريباً . فاز أوتاكيه .

صباح اليوم التالي كان الأستاذ يحلق في الممر خارج الحمام . كان يعد نفسه لجوله الغد . وقفت زوجته وراءه تسند رأسه لخلوّ الكرسي من مسند . في ذلك المساء وصل أونودا المصنف سادساً والذي يتولى التحكيم ، يرافقه ياواتا سكرتير الرابطة . أضفى الأستاذ حيوية خاصة على الأمسية بمواصلته تحدي الآخرين في الشطرنج والنينوكي . ولقد خسر مراراً مع أونودا في لعبة النينوكي ، التي تعرف أيضاً بالفوموكو الكوري[١٣] . بدا مفعماً بالإعجاب .

سجّل أرنودا لعبة « غو » خضتها مع غوي مراسـل صحيفة نيشينيشي . أن يكـون لاعب من المرتبـة السادسـة هو المسجّـل شـرف لا يحـظى بـه حتى الأستـاذ . لعبت الأسود وفـزت بخمس نقاط . نشـرت تفـاصيـل اللعبـة في « درب الغو » مجلة الرابطة .

لقد اتفق على تخصيص يوم من الرحلة للراحة ، على أن تستـأنف المباراة في اليوم العاشر . في صباحات اللعب يتحول أوتاكيه إلى انسان آخر مختلف ، مكموم الغم وأقرب إلى التجهم . يتراجع كتفـاه ويذرع القـاعات متحـدياً ، ومن خلف الجفنين الممتلئين المتـورمين قليـلاً ترسـل العينان الضيقتـان بريقـاً قاسياً .

جاءت شكوى من الأستاذ . قال إن ضجيج المياه جعلته يأرق ليلتـين . وقف أمام لوحة التصوير مكرهاً ليتسنى لهم التقاط الصور ، في غرفة أبعد مـا تكون عن النهر . أعلمهم بأنه راغب في تغيير النزل .

ونادراً ما يكون الأرق سبباً وجيهاً لتأجيل الجولة . فوق ذلـك ، يقتضي درب الـ « غو » من اللاعب الوفاء بالتزاماته حتى لو كان والده يحتضر ، حتى لو أصبح على حافة الانهيار . لا يزال المبدأ محترماً . وتقـديم شكوى صبيحـة الجولة بـالذات ، حتى لـو كان الأستـاذ نفسه هـو الشاكي - يعني ظهـور ميول أوتوقراطية مدهشة للغايـة . كانت المبـاراة هامـة للأستـاذ دون شك ، لكنهـا كانت أكثر أهمية لأوتاكيه .

ولأن أحداً من الاداريين ، الآن أو في مناسبة سـابقة حـين حنث الأستاذ بوعده ، لم يكن مستعداً للتصرف كحكم بين متنازعين واصدار أمر ما ، فـلا بد أن يشعر أوتاكيه بتململ لا بأس بـه حول مسـار المباراة . لقـد تقبّل كـل رغبات الأستاذ ، ونادراً ما رسم على وجهه علامة استياء .

« لقد اخترت النـزل بنفسي ، وأنا شـديد الأسف لأن الأستـاذ لا ينام » ثم اردف : « لعلنا نجد غيره ونبدأ اللعب غداً ، بعد أن يـأخذ قسـطاً كافيـاً من الراحة » .

لقد أقام أوتـاكيه في النـزل من قبل ، واعتبـره مكانـاً مناسبـاً للمباراة ، ولسـوء الحظ ارتفـع منسـوب النهـر من الأمـطار حتى تهـاوت الجـلاميـد وتساقطت ، وأصبح النوم عسيراً حقاً ، فالنزل جاثم كالجزيرة وسط المياه .

لفّ نفسه في كيمونو صيفي ، وانطلق مع غوي باحثاً عن نزل هادىء .

(١٤)

ذلك الصباح انتقلنا إلى نزل نارايا . في اليوم التالي ، الحادي عشر ، استؤنف اللعب في بناء مكشوف بعد توقف دام اثني عشر يوماً أو نحوها . نسي الأستاذ نفسه في غمرة اللعبة ، وغادرته الشراسة . لقد كان هادئاً وسهل القياد ، كأنه حكم على نفسه بالحجر أمام الاداريين .

كان المحكمان في مباراة الأستاذ هما أونودا وايواموتو ، وكلاهما من المرتبة السادسة . قدم ايواموتو في الواحدة من بعد ظهر اليوم الحادي عشر . اقتعد كرسياً في الشرفة وأخذ يتأمل الجبال . كان اليوم يصادف نهاية موسم الأمطار ، حسب التقويم ، وقد أشرقت الشمس فعلياً للمرة الأولى منذ أيام ، ألقت الأغصان ظلالاً على الأرض الندية . وكانت أسماك الكارب الذهبية تتألق في البحيرة . لكنّ السماء تلبدت بالغيوم من جديد عند استئناف اللعب . هبّ نسيم قوي يكفي لجعل الأتربة تتراقص برفق في الدغل . وما خلا خرير مياه الشلال في الحديقة والنهر خلفها ، لم يكن يخرق الصمت سوى الرجع البعيد لإزميل يعمل في الصخور . عبق من الحديقة أريج ليالك حمراء . فوق الأفاريز حوّم طائر نجيلاء في صمت يكاد يكون مطبقاً . جرت ست عشرة لعبة في فترة ما بعد الظهر ، من الأبيض ١٢ المختومة إلى الأسود ٢٧ المختومة .

بعد أربعة أيام من التوقف ، جرت جولة هاكونيه الثانية في ١٦ تموز . اعتادت الفتاة المكلفة بالتسجيل ارتداء كيمونو أسود فاتحٍ منقطٍ بالأبيض . لكنها اليوم غيّرت ثوبها الصيفي بكيمونو من الكتان الأبيض .

كان هذا البناء الملحق على مبعدة مئة ياردة من المبنى الرئيسي عبر الحديقة . أزفت استراحة الظهيرة وتسمّرت عيناي على شخصية الأستاذ وهو

يقطع الممشى وحيداً . . هناك منحدر قصير وراء بوابة البناء الملحق مباشرة ، وانحنى الأستاذ وهو يتسلقه . لم يكن بوسعي رؤية خطوط راحة اليدين الصغيرتين اللتين عقدهما وراء ظهره ، لكن شبكة العروق متكتلة ورقيقة . كان يحمل مروحة مطوية . كان جسده ، المنحني قليلاً إلى الأمام بدءاً من ردفيه ، يبدو مستقيماً إلى حد يجعل ساقيه أقل اعتماداً واحتمالاً لوزنه .

تناهى رجع الماء المنحدر في خندق ضيق من أسفل أجمة الخيزران القزم وعلى مدى الطريق العام . لا شيء سوى ذلك . . لكن خيال الأستاذ المتراجع يكاد يجعل الدموع تطفر من عيني . اجتاحني تأثر عميق لأسباب لم أدركها أنا نفسي . داخل ذلك الشبح الذي يذرع الممشى ساهماً يجثم حزن عميق ساكن ينتمي إلى عالم آخر . بدا الأستاذ شبيهاً بصرح أثري خلّفته ميجي وراءها .

« سنونوة ! سنونوة ! » هتف بصوت خفيض مختنق ، حين توقف رافعاً بصره إلى السماء . كانت وراءه بلاطة حجرية تشير إلى أن امبراطور ميجي قد تكرّم بالمبيت في هذا النزل . التفّت أغصان شجرة آس غير مزهرة فوق البلاطة . كانت نارايا ذات يوم محطة عبور الارستقراطية العسكرية ومجموعاتها .

اقتفى أونودا أثر الأستاذ ، كأنه يقيه شرّاً ما . جاءت زوجة الأستاذ لمقابلته عند الجسر الحجري فوق البحيرة . كانت لا تراه إلا في الصباح والظهيرة داخل غرفة اللعب فقط ، ثم تنسل حين يأخذ مكانه وراء الرقعة . عند الظهيرة وفي نهاية جولة اليوم تتوقف كعادتها عند البحيرة القريبة من غرفتها ، وتنتظر مجيئه .

بدا خيال الأستاذ كما يبدو من الخلف مفتقراً للتوازن بشكل يدعو للاستغراب . لم يستفق من غشيته بعد ، فكأن الجذع والرأس المنتصبين بصورة مطلقة ما زالا عند رقعة الـ « غو » . بدا غير واثق من قدميه . لقد استولت عليه حالة ذهول فراح يوحي بروح نورانية تسبح في فراغ ؛ ومع

ذلك ظلت خطوط شخصيته التي رأيناها وراء الرقعة متماسكة . كانت تخلّف وراءها نوعاً من العبق المتبقي ، نوعاً من حمرة الأفق بعد المغيب .

« سنونوة ! سنـونوة ! » لعـل الأستاذ ـ والكلمـات تنحبس في حنجرتـه ـ يدرك للمرة الأولى أن حالته لم تعد إلى وضعها الطبيعي . هكذا حال الأستاذ الطاعن في السن . كان انشدادي اليه والحنين الذي يستدره ينبعث من قدرته على التأثير بي في تلك اللحظات .

(١٥)

أولى علامات قلق زوجة الأستاذ على صحته ظهرت في ٢١ تموز ، يوم جولة هاكونيه الثالثة .

« انه يعاني من الآلام هنا » قالت مسبلة يدها على صدرها . كان واضحاً أنه يدرك اضطرابه منذ اقتراب الربيع .

لقد فقد شهيته للطعام . نهار أمس امتنع نهائياً عن تناول افطاره ، واكتفى على الغداء بشريحة رفيعة من الخبز المحمص وبكوب من الحليب .

خلال الجولة الثالثة لاحظت اختلاج الخدين الغائرين المتهدلين فوق الظل الضخم ، لكني قدرت أن الحرارة أثّرت عليه .

تلك السنة واصلت الأمطار هطولها بعد انتهاء فصل الأمطار ، وتأخر الصيف في المجيء. ثم انقلب الجو فجأة نحو الدفء ، قبل ٢٠ تموز حين كان التقويم يشير إلى بدء الربيع . في ٢١ تموز خيّم ضباب كثيف فوق جبل ميجي . كانت الحديقة ساكنة وراكدة . رفرفت فراشة سوداء طويلة مشقوقة الذيل وسط الليالك البيضاء في الشرفة . حتى سرب الغربان الناعبة في الحديقة أخذ يوحي بالدفء . الجميع يرّوحون بمراوحهم حتى الموظفين . هذه هي الجولة الأولى الدافئة والمرهقة منذ بداية المباراة .

« انها قاسية » قال أوتاكيه مجففاً جبهته بمنشفة . « الـ « غو » قاس أيضاً :

صعوداً جئنا هاكونيه ، صعوداً جئناها
الأشد انحداراً بين جميع المدن . . . »[١٤]

حين أزفت استراحة الغداء استغرق أوتاكيه ثلاث ساعات وخمس دقائق

ليلعب الأسود ٥٩ .

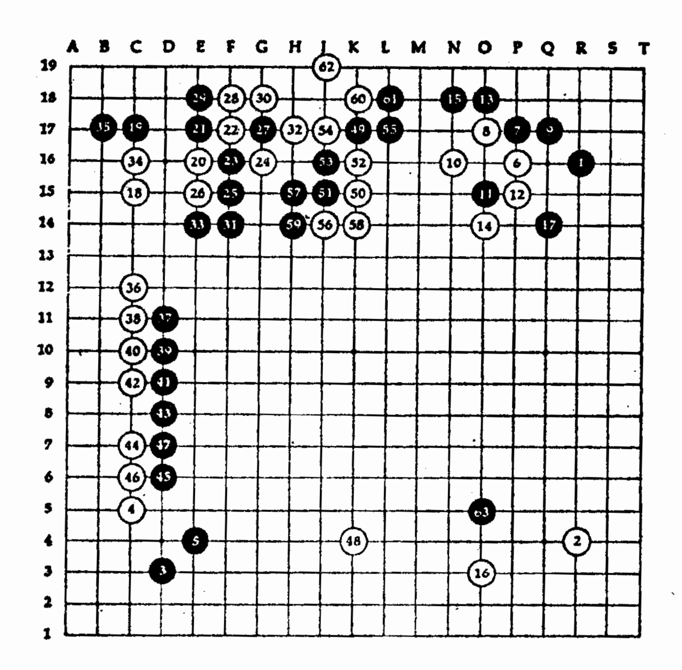
كان الأستاذ يرّوح بالمروحة دون اكتـراث ، مستخدمـاً يده اليسـرى بعد أن وضع اليمنى خلف ظهره وأسبل ذراعه على مسند الكـرسي . أخذ يـرمق الحديقة بين وقت وآخر . بدا بارداً ومرتاحاً تماماً . كدت أحس بـأني أشارك أوتاكيه الشاب توتره ، لكن قوة الأستاذ بدت هادئة ، مركزها بعيد وناءٍ .

غير أن حبيبات العرق انحدرت فوق وجهه ، عقد يديه فجأة فوق وجهه وضغط خـديه . « لا بـد أن الجو مريع في طـوكيو » . انفتـح فمـه هنيهـات بعدها ، كأنه يتذكر حرارة زمن آخر في مكان بعيد .

« نعم » قال أونودا . « انقلب الجـو حاراً فجـأة بعد يـوم من ذهابنـا إلى البحيرة » . كان أونودا قد عاد لتوه من طوكيو . في اليوم السابـع عشر ، بعـد يوم واحد من الجولة السابقة مضى الأستاذ وأونودا وأوتـاكيه للصيـد في بحيرة آشي .

حـين لعب أوتاكيـه الأسود ٥٩ تتـالت ثلاث لعبـات حتمية بعـد طـول تفكير . كانت الأحجار كأنها تـرجّع صـدى بعضها البعض . ظـل الموقف في الأجزاء العليا من الرقعة متـوازناً لبعض الـوقت . كانت لعبـة الأسود الثـانية صعبة ، فنطاق احتمالاتها واسـع ، لكن أوتاكيـه تحوّل إلى الجـزء السفلي من الرقعة ولعب الأسود ٦٣ بعد لحـظة تفكير واحـدة . خطط للتقـدم إلى الأمام كما يبدو ، وكرّس نفسه لهجومه التالي ، لهجوم كـاسح من النـوع الذي طبـع لعبته . أما وقد دفع بجاسوس ضد قوى الأبيض في الأسفـل فله أن يعود إلى الجزء الأعلى من الرقعة . كان نفاذ الصبر العدواني كامناً في ضجيـج الأحجار ذاتها .

« أحس بقليـــل من البـرودة الآن » . نهض من فـوره . تــرك رداءه في القاعة ، وحين خرج ألقـاه على ظهـره . « المتاعب كلهـا من الظهـر . يحيك الأحابيل لي . الرداء فوق الظهر خدعة كما تعلم » . صحّح الخطأ وعقد عقدة محكمه ، وسرعان ما نهض ثانية ليذهب إلى المغاسل هذه المـرة . « الحرّ أشـد سوءاً حين يكون المرء وراء الرقعة ، قال حين رجع . انهمك في مسح نظارته



مستخدماً المنشفة .

انها الثالثة بعد الظهر . الأستاذ يتناول المرطبات . فكّر بعمق خلال عشرين دقيقة . واضح أن الأسود ٦٣ صعقته كلعبة غير تقليدية بعض الشيء .

في مستهل اللعب ظل أوتاكيه حريصاً على انذار الأستاذ بأنه سيطلب معذرته في أغلب الحالات ، لكن مغادرته الرقعة كثرت خلال الجولة السابعة حتى اعتبرها الأستاذ غريبة إلى حد ما .

« هل من خطب ؟ » سأله .

« الكليتان . . الأعصاب كلها في الواقع ، كلما انخرطت في التفكير اضطررت للذهاب » .

« ينبغي ألا تفرط في شرب الشاي » .

« أعـرف . لكني أحتاج إلى الشـراب ، اعذرني من فضلك ». ثم نهض من جديد .

هـذه الطريقـة التي ابتكرهـا أوتاكيـه أصبحت مادة لأعمـدة السخـريـة والرسوم الكاريكاتورية في مجلات الـ« غو ». ولقد قيل أن مسـافة المشي التي قطعها خلال مجرى المباراة يمكن أن توصله إلى ميشيما على طريق توكايدو .

(١٦)

قبل مغادرة الرقعة في نهاية الجولة ، يقوم اللاعبون بتدقيق عدد النقلات والوقت المستهلك . لم يكن الأستاذ يتعجل الفهم .

في ٢٦ تموز ختمت اللعبة الأخيرة ـ الأسود ٤٣ ـ في الرابعة والنصف حين علم الاستاذ أن مجموعاً قدره ست عشرة لعبة قد أنجز خلال النهار وجد ذلك عسيراً على القبول .

« ست عشرة ؟ هل استطعنا انجاز هذا الرقم حقاً ؟ » .

شرحت الفتاة من جديد أنه بدءاً من الأبيض ٢٨ وحتى اللعبة المختومة بلغ العدد ست عشرة . كانت المباراة ما تزال في مراحلها الأولى ولم يكن على الرقعة سوى واحد واربعين حجراً . نظرة خاطفة تكفي لتأكيد ملاحظة الفتاة ، لكن شكوك الأستاذ ظلت باقية . أحصى المجموع حجراً حجراً على أصابعه ، وظل غير مقتنع .

« دعنا نصفها ونراها » .

تناول الأستاذ وأوتاكيه الأحجار الملعوبة ووضعاها بالتسلسل : واحدة ، اثنتان ، ثلاثة . . وهكذا حتى السادسة عشرة .

« ست عشرة ؟ » تمتم الأستاذ . . « انه عمل كبير » .

« هذا لأنك سريع جداً يا سيدي » ، قال أوتاكيه .

« اوه . . لست سريعاً إلى هذا الحد » .

جلس الأستاذ إلى الرقعة ساهماً لا يظهر ميلاً للانصراف . لم يكن باستطاعة الآخرين أن يغادروا قبله .

« لو أننا توقفنا لشعرت بتحسن » قال أونودا بعد صمت .

« أنلعب الشطرنج ؟ » سأل الأستاذ متطلعاً من حوله وكأنه استفاق لتوه لم يكن في جو التجريد هذا شيء من الاختلاق .

ست عشرة لعبة نادرا ما تحتاج إلى إعادة حساب ، واللاعب يستوعب كامل الرقعة في رأسه ، حين يأكل وحين ينام . لعلها علاقة تفان واهتمام بالدقة أن يلح الأستاذ على اعادة حساب كل الأحجار ، ولا يقتنع حتى يفعل ذلك . لعله ينطوي على عنصر احتراس . في هذا التكلف الغريب يلمس المرء عزلة رجل عجوز لم تتيسّر له حياة سعيدة بعد .

في الجولة الخامسة بعد خمسة أيام ـ أي في ٢١ تموز ـ جرت اثنتان وعشرون لعبة ، من الأبيض ٤٤ إلى الأسود ٦٥ المختومة .

« كم استغرقت من الوقت ؟ » سأل الأستاذ الفتاة .

« ساعه وعشرين دقيقة » .

« كل ذلك ؟ » بدا أقرب إلى الشك . كان الزمن الاجمالي الذي استغرقه للعباته الاحدى عشرة كان أقل بست دقائق من الزمن الذي استخدمه أوتاكيه للعب الأسود ٥٩ لوحدها . لكنه بدا ميالاً إلى التفكير بأنه لعب بسرعة .

« لا يبدو مناسباً أنك استخدمت كل هذا الوقت يا سيدي » قال أوتاكيه . « كنت تلعب بإيقاع مخيف » .

« كم بقي على القلنسوة ؟[١٥] » سأل الأستاذ الفتاة .

« ست عشرة دقيقة » .

« والنهاية القصوى ؟[١٦] » .

« عشرون دقيقة » .

« الحلقة أخذت منك زمناً أطول » قال أوتاكيه .

« أتقصد الأبيض ٥٨ ؟ » سألت الفتاة وهي تتفحص سجلها .

« استغرقت خمساً وثلاثين دقيقة » .

ظل الأستاذ بعيداً عن الاقتناع . تناول الجدول من الفتاة وتفحصه برويّة .

ولأني أحب الحمّام المنعش في أوقات الصيف ، فقد كنت أهرع إلى الحمام فور انتهاء كل جولة . اليوم كان أوتاكيه أسبق مني .

« أحرزت تقدماً جيداً » .

« الأستاذ سريع وهو لا يرتكب الأخطاء ، وهذا ما يعطيه ميزة اضافية » ، ضحك أوتاكيه ، « اللعبة جيدة في نهاياتها » .

كان ما يزال بوسعي الاحساس بالقوة التي تنبعث منه حين يكون وراء الرقعة . كان أمراً محرجاً أن يقابل المرء لاعب الـ « غو » قبل أو بعد الجولة مباشرة .

هذه الطاقة المتوثبة توحي بتصميم عظيم . ربما ولدت في ذهنه خطة هجوم عنيف . أونودا المصنف ثامناً دهش بدوره لسرعة الأستاذ .

« احدى عشرة ساعة ستكون كافية تماماً حتى في أعظم التصفيات . لكنها بقعة صعبة . تلك القلنسوة ليست من النوع الذي يلعبه المرء في عجالة » .

خلال مجريات الجولة الرابعة ـ في ١٦ تموز ـ استغرق الأستاذ أربع ساعات وثمان وثلاثين دقيقة ، والأسود ست ساعات واثنتين وخمسين دقيقة . وفي نهاية الجولة الخامسة ـ ٢١ تموز ـ أصبح الفارق أكبر فأكبر : خمس ساعات وسبعاً وخمسين دقيقة للأبيض ، وعشر ساعات وثمان وعشرين دقيقة للأسود .

في نهاية الجولة السادسة ـ ٣١ تموز[١٧] ـ استخدم الأسود ثماني ساعات واثنتين وثلاثين دقيقة ، الأسود اثنتي عشرة ساعة وثلاثاً وأربعين دقيقة ؛ وفي نهاية الجولة السابعة بتاريخ ٥ آب استخدم الأبيض عشر ساعات واحدى وثلاثين دقيقة ، والأسود خمس عشرة ساعة وخمساً وأربعين دقيقة .

لكن الفارق تضاءل بدءاً من الجولة العاشرة في ١٤ آب : استخدم

الأبيض أربع عشرة ساعة وسبعاً وخمسين دقيقة مقابل سبع عشرة ساعة وسبعاً وأربعين دقيقة للأسود . في ذلك اليوم - بعد ختم الأبيض ١٠٠ - دخل الأستاذ مستشفى سان لوك . ورغم مقارعته الباسلة للمرض فقد استخدم ساعتين وسبع دقائق في لعبة واحدة ، الأبيض ٩٠ التي جرت في ٥ آب .

حين انتهت المباراة أخيراً في ٤ كانون الأول - برز فارق غير مريح يناهز أربع عشرة ساعة أو خمس عشرة بين الاثنين . استخدم شوساي الأستاذ تسع عشرة ساعة وسبعاً وخمسين دقيقة ، وأوتاكيه المصنف سابعاً استخدم أربعاً وثلاثين ساعة وتسع عشرة دقيقة .

(١٧)

تسع عشرة ساعة وسبع وخمسون دقيقة ستكون قـريبة من الـزمن الممنوح للاعبين في مباراة عادية ، لكن الأستاذ تبقى له أكثر من عشرين ساعـة . أما أوتاكيه بساعاته الأربع والثلاثين وتسـع عشرة دقيقـة فقد تبقى لـه ما يقـارب الست ساعات .

كانت لعبة الأستـاذ للأبيض ١٣٠ لعبـة متسرعـة ثبت أنها قاتلة . لـو لم يرتكب الخطأ واستمرت المباراة بتعـادل الطرفـين أو تفوق أحـدهما قليـلاً على الآخر ، لظلّ أوتاكيه يتعثر حتى يستهلك ساعاته الأربعـين بأكملهـا . بعض الأبيض ١٣٠ أيقن أنه فاز .

كان الأستاذ وأوتـاكيه معـروفين بعنـادهما ، وكـلاهما معتـاد على التفكـير الطويل . فينتظر أوتاكيه حتى ينقضي كامـل وقته تقـريباً وينحصـر أسلوبه في صنع مئة لعبـة أو أكثر في الـدقيقة الأخيـرة أضفى على لعبتـه شراسـة غريبـة ضارية . لم يكن الأستاذ ـ الملتزم بعصر لا توضع فيه قيـود على الـزمن ـ قادراً على مقارنة عمل دالّ على القوة كهـذا . ولعله في الحقيقة ألـحّ على الأربعـين ساعة كي تكون معركة حياته الأخيرة متحررة تماماً من ضغط الزمن .

كـانت الحصة الـزمنية في مبـاريات الحصـول على لقب أستـاذ طـويلة في معـظم الحالات . ولقـد بلغت ست عشرة سـاعـة عـام ١٩٢٦ حـين لاعب كاريغانيه المصنف سابعاً . خسر كـاريغانيـه لأنه أضـاع الزمن ، لكن النصـر بخمس أو ست نقاط لأبيض الأستاذ كان أمراً واقعـاً . ولقد ظهـر في الحقيقة من يقول انه كان على كاريغانيـه أن يلعب كرجـل ، فلا يـدع الزمن القـاصر يتسبب في هزيمته . حين تقابل الأستاذ مع وو المصنف خامساً ، منح كل منهما

خمساً وعشرين ساعة .

أما مباراة اعتزال الأستاذ فقد كان زمنها ضعفي ما كان عليه حتى في المباريات الطويلة غير العادية ، وأربعة أضعاف المباراة العادية ، كان التخلي عن قيود الزمن ممكناً أيضاً .

لو وضعت هذه الحصة غير العادية من الزمن بتوصية من الأستاذ لأمكن القول أنه ألقى على عاتقه عبئاً ثقيلاً . لقد توجب عليه معاناة المرض ومقاساة فترات التأمل الطويلة من جنب خصمه . هذه الساعات الأربع والثلاثون يجب أن تطرح المسألة بما يكفي من اقناع .

مرة أخرى كان ترتيب اللعب كل خمسة أيام وليد الحرص على سن الأستاذ ، لكنه في الحقيقة زاد من أعبائه . لو استنفذ الطرفان كامل حصتيهما من الوقت ـ وهي في مجملها ثمانون ساعة ، واستغرقت كل جولة خمس ساعات ، فسيبلغ مجموع الجولات ست عشرة جولة ، وهذا يعني أنه لو تواصلت المباراة دون انقطاع فستستغرق ثلاثة أشهر تقريباً. ويدرك كل من يعرف الـ « غو » أن التركيز المطلوب لا يمكن تحديده فكيف باحتمال التوتر طيلة أشهر ثلاثة . انها تعني شيئاً قريباً من استنزاف الكيان البدني للاعب . تلازم رقعة الـ « غو » اللاعب في اليقظة والمنام ، وبذلك لا يكون توقف لأربعة أيام يعني الراحة بقدر ما يعني الاجهاد .

أصبحت توقفات المباراة أكثر انهاكاً للأستاذ بعد أن سقط مريضاً . كان طبيعياً أن يرغب الأستاذ ذاته ومعه الاداريون في الانتهاء من المباراة بأبكر وقت ممكن ينبغي السماح له بالراحة إذ لا يخلو الأمر من خطر الانهيار على الدرب .

لقد بلغ به الأمر أنه أعرب لزوجته ـ كما أخبرتني بحزن ـ عن عدم اكتراثه بمن يفوز . . انه يريد الخلاص من هذا الأمر فقط .

« لم يسبق له مرة واحدة في حياته أن ذكر شيئاً كهذا » .

« لن يتحسن ما دامت المباراة متواصلة »، هكذا صرّح احد الإداريين

برأس مطرقة . « خيّل إلي في حين أنه سيبذل ما بوسعه للفراغ منها . لكنه لم يستطع بطبيعة الحال . ان فنه يعني لديه الكثير . لم يكن الاحتمال وارداً عندي على نحو جاد . انها مجرد فكرة تراودني في اللحظات اليائسة » .

لعلها ملاحظة محترفة ذات طبيعة متكتمة ، لكن اللحظات كانت من النوع البائس في الحقيقة . الأستاذ نفسه لم تسمع منه شكوى سابقاً . والحت أنه خلال مسار منافساته التي استغرقت نصف قرن ربح عدداً وفيراً من المباريات بفضيلة كونه يتفوق قليلاً على خصمه في الصبر . وما كان الأستاذ من النوع الذي يبالغ في تعاسته وضيقه .

(١٨)

حين استؤنف اللعب بعد فترة قصيرة في إيتو سألت الأستاذ إن كان يقصد العودة إلى مشفى سان لوك حين تنتهي المباراة ، أم يقضي الشتاء كالعادة في آتامي .

« جدير بك أن تسألني إن كنت سأعيش حتى ذلك الوقت »، أجابني وكأنه يكشف أحد أسراره . « يبدو غريباً انني بلغت هذا المدى . لست ذلك المفكر ، ولست أملك ما تستطيع تسميته معتقدات . يتحدث الناس عن مسؤوليتي ازاء اللعبة ، لكنها لا تكفي للذهاب بي بعيداً هكذا . يستطيعون تسميتها قوة بدنية لو شاؤوا ، لكنها ليست حالي مع ذلك . تحدث ببطء ورأسه محنية قليلاً . « لعلي فقدت شكيمتي الغامضة الشاردة ، لعل الغموض أفادني . الكلمة الواحدة تعني شيئين مختلفين في طوكيو وفي أوساكا كما تعلم . انها في طوكيو تعني الغباء ، لكنهم في أوناكا يتحدثون عن غموض في الرسم في فن الـ « غو ». ذلك النوع من الأشياء ». بدا الأستاذ يبتلع الكلمات وهو يتحدث ، وكنت ابتلعها وأنا أصغي .

ليس الأستاذ من النوع الذي يناقش أحاسيسه بهذه الصراحه. ليس هو من يبسط وجدانه على وجهه أو في كلامه . كانت هذه أكثر المرات خلال الساعات الطويلة التي صرفتها في مراقبة المباراة التي أحس فيها بغتة انني ابتلع كلمة عادية أو تلميحاً يصدر عن الأستاذ .

هيروتسوكي زيكين ـ الذي كان سند الأستاذ المخلص منذ ١٩٠٨ حين نجح في احراز لقب هو ينمبو والذي أسهم في كتاباته ـ كتب ذات مرة أنه خلال أكثر من ثلاثين سنة في الخدمة لم يتلق كلمة شكر واحدة من الأستاذ .

لقد أخطأ في فهم الأستاذ على أنه رجل بارد متبلد الأحاسيس ، وحين ردد الناس أن الأستاذ يستغل زيكن قيل أن الأستاذ واجههم بأنفة ولا مبالاة . كأنه يريد القول أن المسألة ليست من النوع الذي يشغل نفسه بها . تبيّن أيضاً أن التقارير التي تتحدث عن عدم نظافة الأستاذ مالياً خاطئة أيضاً كما قال زيكن ، وهو قادر على دحضها بالدليل القاطع .

ليس الأستاذ من يقدم كلمة شكر خلال مباراة اعتزاله . تولت زوجته مسؤولية مظاهر اللطف هذه . لم يكن يتظاهر بمرتبته ولقبه . كان يمارس ما هو عليه حقاً .

حين يجيئه المحترفون في عالم الـ « غو » بمسائلهم ، كان يعبس ويغرق في الصمت ، وكان التكهن بآرائه شديد الصعوبة في الواقع . ولأن المرء نادراً ما يضغط في نقطة ما على شخص ماجد كهذا فقد خطر لي مراراً انه ظل مصدراً لكثير من التشكك . زوجته تقوم بدور الممرضة والمواسية في محاولة لترويض صمته غير المشروط .

هذا الجانب البليد والراكد من طبيعته ، بطء الادراك الذي سماه بنفسه « غموضاً » تبدّى على أتمّ وجه في هواياته وميوله . في الشطرنج والرينجو بالطبع ، وفي البليارد والمهاجونغ أيضاً ، كان مكمن يأس خصومه يتمثل في الزمن الذي يصرفه في التفكير .

لعب البليارد عدة مرات ، مع أوتاكيه ومعي خلال اقامته في هاكونيه . كان يسجل ما يقارب السبعين اذا كان خصمه الآخر سخياً . واصل أوتاكيه تسجيله المتأني الذي يليق بمحترف . « اثنان وأربعون لي ، أربعون لوو » .

كان الأستاذ يأخذ راحته في التفكير بكل ضربة ، وبعد احتلال موقعه كان يسحب الصف دونما نهاية إلى الأمام والخلف مستخدماً يده . ويميل المرء إلى التفكير بأن الشكل الأمثل في البليارد يعتمد على سرعة الانسياب من الكتف والذراع إلى كرة البليارد . ولكن ذلك الانسياب لم يكن متوفراً لدى الأستاذ . المرء يفقد كامل صبره وهو يزلق الرتل إلى الأمام والخلف . ولكني في المراقبة أشعر بنوع من الحزن والتأثر .

حين يلعب المهاجونغ يصف قرميداته على ورقة بيضاء طويلة ضيقة . سألته عنها يوماً ، حين لاحظت أناقة الورقة المطوية وصفّ القرميد الذي يشكل علامة على مزاج الأستاذ العصبي على الارضاء.

« نعم . انها أوضح وأسهل للرؤية حين تضعها على ورق أبيض جرّبْها ذات يوم ».

في المهاجونغ أيضاً يفترض أن مفتاح النصر يكمن في اللعبة السريعة الصاعقة ، لكن الأستاذ يمعن التفكير في كل حركة على الأقل . يدفع السأم خصومه فيرفعون الراية ثم يستسلمون . وإذ يغرق الأستاذ في لعبته الخاصة يصبح غافلاً تماماً عن مشاعر الآخرين . لم يكن مدركاً حتى لحقيقة أنه أحياناً يجرّ الناس إلى الدفاع والصراع في اللعبة .

(١٩)

« لست تتعـرف على شخصيـة خصمـك حـين تلعب الـ «غـو» أو الشطرنج »، لاحظ الأستـاذ ذات مرة وهـو يواجـه لاعب « غو » هـاو . وان محاولة الحكم على شخصية خصمـك تحرف الـروح العامـة للعبة . لعله كـان متضـايقاً من منـظرّي الـ « غـو » الهـواة . «وأفقد نفسي في اللعبـة ولا يعـود خصمي يعنيني بشيء ».

في ٢ كـانون الثـاني ١٩٤٠ ، أي قبل نصف شهـر من وفـاتـه ، شـارك الأستاذ على حلقات في لعبة الـ « غو » التي دشنت عام رابطة الـ « غو ». قام اللاعبون المتجمهرون في مكاتب الـرابطة بخمس لعبـات لكل منهم ، وهي تعادل تركهم لبطاقات دعوتهم . ولأن الانتظار بدا طويلًا بوشرت لعبة ثانية . أخذ الأستاذ مكانه قبالة سيو المصنف ثانياً ، والذي لم يكن له شريـك ، عند الأبيض ٢٠ من اللعبة الثانية . قاموا بخمس لعبات لكـل منهم ، من الأسود ٢١ إلى الأبيض ٣٠ . كـانت اللعبـة ستعلق عنـد الأبيض ٣٠ لعـدم وجـود آخرين يتابعونها . صرف الأستاذ أربعين دقيقة في التفكير بلعبتـه الأخيرة حتى في حالة كهذه . كان آخر من يظهر ضمن المظاهر التي تبيّن أخيـراً أنه شعـائر احتفالية ، وكان بمقدوره أيضاً أن يلعب على الفور ويفرغ من المسألة .

ذهبت لرؤ يته في مشفى سان لوك خلال توقف الشهور الثلاثـة في مباراة اعتزاله . كان الأثاث ضخـماً للغايـة ويناسب بنيـة الجسم الأمريكي . كـان هنـاك شيء ما غـير مستقر في جسم الأستـاذ الصغـير الملقى عـلى الفـراش . تلاشى تورم الاستسقاء بدرجة كبيرة في وجهه وأصبح خـداه أكثر امتـلاء . ما يفاجيء حقاً هو ذلك الإشراق البادي على ملامحه ، كأنه ألقى عن كاهله عبئاً

روحياً ثقيلاً . بدا متخففاً من كل همّ وواهناً إلى حد ما . . بدا سيداً طاعناً في السن ، مختلفاً عن أستاذ رقعة الـ « غو ».

تصادفت زيارتي مع زيارة أحد مراسلي صحيفة نيشينيشي ، قال إن التنافس يحظى باهتمام شعبي كاسح . حتى قراء السبت أدلوا بدلوهم في التطورات التي ستأخذها اللعبة خلال مراحلها الحاسمة .

بادرت إلى القول : « مسألة هذا الاسبوع ستكون الأسود ٩١ ».
« الأسود ٩١ ؟ » أوحى التعبير المرسوم على وجه الأستاذ بأنه يحدّق في رقعة « غو ».
أسفت لملاحظتي . ليس الحديث عن الـ « غو » مرغوباً . لكني تابعت تفسيري :« الأبيض يقفز مساحة واحدة ، والأسود يلعب على الخط القطري بعيداً عن مواقعه ».

« أوه ؟ هكذا ! ولكن ليس لديه ما يفعله سوى اللعب قرب حجره هو إما على الخط الأفقي أو العمودي ، أظن ان العديد من الناس سيجدون الحل ». كان خلال حديثه قد اتخذ وضعية الجثو على الركبتين . رفع رأسه . تلك إطراقته أمام رقعة الـ « غو ». انها تنطوي على مهابة باردة قاسية . خيّل إلي في لحظة عابرة أنه فقد كل وعي بهويته الخاصة ، وهو يقف وجهاً لوجه مع الفراغ المطبق .

لم يكن يبدو ، لا الآن ولا في المباراة المتتالية ، أن تفانيه لفنه دفعه لتوخي الكثير من الجدية عند كل نقلة ، أو أنه كان يفرط في ممارسة مسؤولياته كأستاذ ، بل بدا وكأن ما ينبغي حدوثه يحدث الآن .

وحين يقع لاعب شاب في مصيدة مباراة ما مع الأستاذ ، فهو يخرج في نهايتها منهكاً تماماً . أقيمت على سبيل المثال مباراة إعاقة[١٨] من شوط واحد لعبها مع أوتاكيه خلال اقامتنا في هاكونيه ودامت من العاشرة صباحاً وحتى السادسة مساء . ثم أقيمت مباراة شطرنج ضمن تصفية « غو » من ثلاث مباريات بين أوتاكيه و وو باشراف صحيفة نيشينيشي طوكيو ذاتها . قام الأستاذ بالتعليق وكتب المراسل المكلف بتغطية المباراة الثانية : أجبر الأستاذ

فوجياواكوارنوسوكيه المصنف خامساً والذي تصادف حضوره أيضاً ، على خوض مباراة في الشطرنج بدأت ظهراً وامتدت إلى ما بعد الظهر فالمساء وحتى الثالثة صباحاً . وفي اليوم التالي رأى الأستاذ فوجياوا فهرع اليه وسحب رقعة الشطرنج من جديد . هكذا حال الأستاذ .

تجمعنا قبل ليلة وبدء جولة هاكونيه الثانية « الأستاذ مدهش » قال سونادا وهو مراسل يغطي الـ «غو» لصحيفة نيشينيشي ويتصرف بمثابة المستخدم لدى الأستاذ . « في كل يوم من الأيام الأربعة المنصرمة التي ينبغي له أن يرتاح فيها ، كان يتواجد قبل الآخرين صباحاً ويتحداني في لعبة بليارد . لقد لعبنا طوال النهار والليل ، كل يوم . انه ليس عبقرياً فقط . انه فوق حدود البشر » .

ويقال أن الأستاذ لم يسبق له مرة أن اشتكى لزوجته من ارهاق سببته المنافسة في اللعب . وهي تحب سرد احدى الحكايات التي تكشف عن قدرته في إغراق نفسه داخل اللعبة . سمعتها بنفسي في نارايا :

« كنا نقطن في كوغاي ـ شو في آزابو . لم يكن المنزل كبيراً ، وكان يخوض المباريات ويمارس التدريب في غرفة صغيرة . كانت مشكلة الغرفة المجاورة أنها قاعة استقبال حيث يزورنا أحياناً بعض الضيوف الصاخبين . ذات مرة كان يخوض مباراة مع شخص لا أعرفه حين وصلت شقيقتي لتريني طفلها الجديد . الأطفال أطفال دائماً ، بكى الطفل طوال الوقت . أصابني الذعر وتمنيت حقاً لو أنها غادرتني ـ لكني لم أشاهدها منذ زمن بعيد ، وقد جاءت لسبب خاص جداً ، ولم أستطع مفاتحتها بالذهاب . حين غادرت البيت ذهبت للاعتذار عن ذلك الضجيج ، ولكن هل تصدق بأنه لم يسمع شيئاً على الاطلاق ! لم يعرف انها هنا ولم يسمع بكاء الطفل اطلاقاً » . ثم أضافت : « اعتاد أوغيشي على القول بأنه يريد التشبه بالأستاذ في أسرع وقت ممكن . كان يجلس في سريره يومياً ليتأمل مطولاً قبل أن يخلد إلى النوم . في تلك الأيام كانت مدرسة أوكادا في التأمل هي السائدة كما تعلم » .

كان أوغيشي الذي أشارت اليه هو أوغيشي سوجي المصنف سادساً ،

تلميذ نجيب بارع قيل أنه احتكر ثقة الأستاذ واطمئنانه حتى فكر الأخير بتسميته وريثاً للقب هوينمبو . توفي في كانون الثاني ١٩٢٤ ، في السابعة والعشرين من عمره حسب التقويم الشرقي . كان الأستاذ يتذكر أوغيشي طوال السنوات الأخيرة .

نوزاوا شيكوشو لديه أقاصيص مماثلة حول بعض مبارياته التي خاضها في منزل الأستاذ ، خلال أيامه في المرتبة الرابعة . ذات مرة كان بعض التلاميذ الشباب يصدرون من غرفة الأطفال جلبة تسمع حتى في غرفة المباراة ذاتها ، مضى نوزاوا ليحذرهم . كانوا متأكدين بأن الأستاذ سيوبخهم ، ولكن تبيّن فيما بعد أنه لم يسمع شيئاً .

(٢٠)

قـالت زوجته : « طـوال فترة الغـداء جلس يحملق في الفضاء لا بـد أنه يتأمل بقعة صعبة ». ٢٦ تموز ، يوم جـولة هـاكونيـه الرابعـة . « قلت له إن هـذا لا يفيد . اذا واصـل تناول طعـامه كمن لا يـدرك بأنـه يأكـل فستتمرد معدته . قلت له إن هضمه سيضطرب اذا لم يتهيأ له المزاج . قـطب حاجبيـه وواصل التحديق في الفضاء ».

لا بـد أن الاستاذ لم يتـوقع الهجـوم العنيف الذي تضمنتـه لعبة الأسـود ٦٩ . تدبر ردّه طوال ساعة وست وأربعين دقيقة . كانت هذه أبطأ لعباته منذ بدء المباراة .

لكن أوتاكيه كان يخطط للعبة الأسود ٦٩ طيلة فترة التوقف عـلى الأرجح قبل بدء الجولة أعاد قراءة الموقف لعشرين دقيقة ، كأنـه يضع كـابحاً عـلى دافـع التعجّل . بـدا أنه يفرز القوة ، ارتعش بعنف ، حشـر ركبته في اتجـاه الـرقعة ، وبـرشاقـة ، لعب الأسود ٦٧ ثم الأسـود ٦٩ . انفجـر بعـدهـا في ضحكة مدوية .

« عاصفة رعدية ؟ عاصفة ؟ ».

كانت السحب السوداء تتكاثف . هطل مطر على المـرج ، ثم مطر عـلى الأبواب الزجاجية التي أغلقت بسرعة . كانت نكتة أوتـاكيه من النـوع الذي يهواه ، لكنها كانت تخفي النشوة أيضاً .

تألق تعبير خاطف على وجه الأستاذ ، خليط من الدهشة ونذير السـوء . وهـو في الوقت ذاتـه ذهـول زائف يـراد منـه انتـزاع التسلية والتـرويـح عن النفس . حتى هذا التعبير الغامض لم يكن مألوفاً عند الأستاذ .

نفّذ الأستاذ لعبة غريبة للغاية ضمن جولات إيتو ، لعبة مختـومة تستفيـد من حقيقة كونها لعبة مختومة كما ظهـر . نادرة هي المرات التي تجعل الأستـاذ ينتظر فترة التوقف ليكشف عن سخطه . لقـد اعتقد أن اللعبـة تلوثت وبات يقف عـلى حافـة الخسران . لكنه ـ في جلوسه إلى الـرقعة ـ لم يتـرك لوجهـه فرصة الاعراب عن علامة واحدة تنمّ عن حقيقـة مشاعـره . لم يكن أحد من المشاهدين قادراً على تخمين كثافة تلك المشاعر .

كانت لعبة الأسود ٦٩ أشبه بلمعة نصل المدية . غرق الأستاذ في تفكـير عميق صامت ، حتى حلّ موعد استراحة الظهيرة . ظـلّ أوتاكيـه واقفاً قـرب الرقعة حتى بعد ذهاب الأستاذ .

« هـا نحن نبلغ تلك المـرحلة ، أخـذ يـردد . « هــذا هـو الانشـــطار والتشـرذم ». واصل امعـان النظر في الـرقعة وكـأنه عـاجز عن انتشـال نفسه منها .

« أليست هذه فظاظة منك ؟ » سألته .

« انه يدفعني دائماً إلى التفكير »، ضحك أوتاكيه بمرح .

لكن الأستـاذ لعب بالأبيض ٧٠ حـالما عـاد من الغداء . كـان جلياً أنـه استفاد من استراحة الظهيرة ، ليس بدافع من حصة الـوقت المخصصة لـه ، لكن التخابث لم يكن من طبع الأستـاذ لكي يخفي الجنحة بـادعاء التفكـير في لعبته الأولى لفترة بعد الظهر . عقوبته كانت تتمثل في قضاء الاستـراحة وهـو يحملق في الفضاء .

(٢١)

وصفت اللعبة العدوانية ـ الأسود ٦٩ ـ بأنها « ضربة جهنمية ». الأستاذ نفسه قال فيها بعد إنها تنطوي على ذلك النوع من الضراوة التي يشتهر بها أوتاكيه . كل شيء كان يتوقف على رد فعل الأبيض . لو ثبت وجود خلل ما عند الأبيض لفقد سيطرته على الرقعة بسهولة . فكر الأستاذ في الأبيض ٧٠ ساعة وستاً وأربعين دقيقة ، فترة التأمل الأطول جاءت بعد عشرة أيام ، في ٥ آب ، حين صرف ساعتين وسبع دقائق في الأبيض ٩٠ . الأبيض ٧٠ كانت لعبته البطيئة الثانية .

اذا صحّ أن الأسود ٦٩ عدوانية جهنمية فالأبيض ٧٠ لعبة فائقة رائدة . انعقد لسان أونودا اعجاباً ، وكان هذا حال الجميع . صمد الأستاذ وتفادى الأزمة . تراجع خطوة وتجنب كارثة . لعبة رائعة ، لم تكن يسيرة الاستنباط . اندفع الأسود في هجوم طائش ، وبهذه اللعبة وحدها أعاده الأبيض القهقرى . لقد حقق الأسود بعض المكاسب ، ولكن يبدو أن الأبيض قد التأمت جروحه وانبثق من جديد أشد تألقاً وحرية في العمل .

كانت السماء سوداء ملبدة بالأنواء التي سمّاها أوتاكيه عاصفة ، وكانت الأضواء ساطعة . الأحجار البيضاء ، المنعكسة على الرقعة الشبيهة بالمرآة ، توحدّت في هيئة الأستاذ ، وأخذ عنف الرياح والمطر يكثف سكون الغرفة

وسرعان ما هدأت الزوابع . انساب ضباب على الجبل وانجلت السماء من جهة اوداوارا هبوطاً نحو النهر المتدفق في المنخفض . أطلقت الشمس اشراقتها من خلف الوادي ، تعالى صرير الجراد ، فتحت الأبواب الزجاجية في الشرفة من جديد . كانت أربعة حراء تتقافز فوق المرج حين لعب أوتاكيه

الأسود ٧٣ ـ اكفهرت السماء ثانية بسحاب خفيف .

سقط الرذاذ في ساعات الصباح الباكر ، قال كوميه ماساو وهو يجلس في الشرفة لحضور الجولة الصباحية : « أي شعور ينتاب المرء لمجرد جلوسه هنا ». كان صوته ناعماً لكنه كثيف. « انه شعور نقي ، شفاف ».

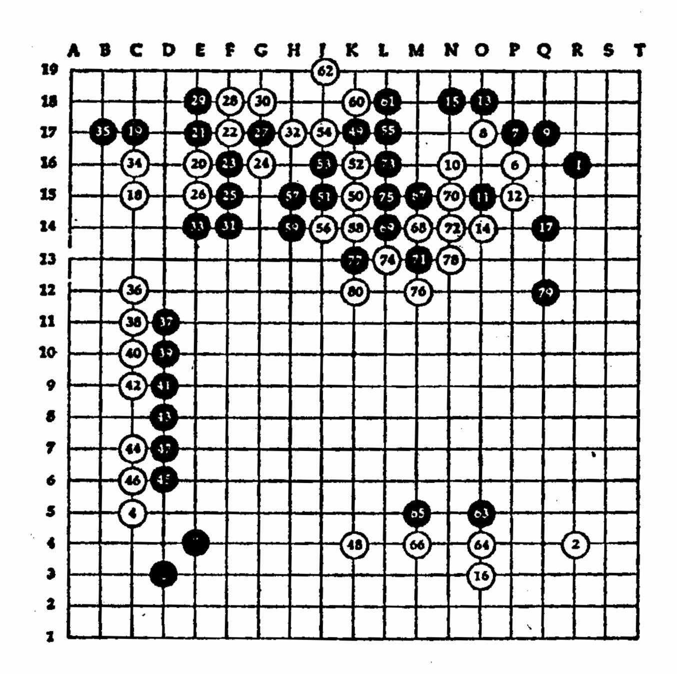
مكث كوميه لحضور الجولة ، فقد أصبح مؤخراً المحرر الأدبي لصحيفة نيشينيشي . كان أول روائي يشغل منصب المحرر الأدبي منذ سنوات عديدة . وكان الـ « غو » يدخل ضمن اختصاصه الشرعي . لم يكن يعرف الكثير عن الـ « غو »، وكان يكتفي بالجلوس في الشرفة ، يرقب الجبال تارة واللاعبين طوراً . لاح أن أمواجاً من الاعتلال النفسي تغمره منبعثة من كافة اللاعبين ، يغرق الأستاذ في تفكير مكرب فيحتل وجه كوميه الطيب تعبير يوحي بالكرب .

من جهتي لم أكن أدّعي معرفة واسعة بالـ « غو » تفوق ما يعرفه كوميه ؛ ولكن في حالة كهذه لاح لي أن تلك الأحجار الراكدة التي أحدق بها من زاوية الرقعة تحادثني وكأنها مخلوقات ناطقة . بدا صوت ارتطام الأحجار بالرقعة وكأن صداه يتردد في عالم آخر .

كانت المباراة تجري في بناء مكشوف مؤلف من ثلاث غرف على صف واحد ، الأولى بعشر حصائر والثانية بتسع . وضعت أزاهير النيمو في فجوة الجدار بالغرفة العشارية .

« كأنها آيلة للسقوط » قال أوتاكيه .

الأبيض ٨٠ كانت هي اللعبة المختومة والخامسة عشرة لهذا اليوم ، لم يتضح أن الأستاذ سمع تحذير الفتاة بأن الساعة الرابعة ـ موعد انتهاء الجولة ـ كانت وشيكة . ترددت قليلاً ثم انكبت لتنحني إلى الأمام .



« عليك أن تختم لعبتك ، اذا سمحت يا سيدي ». قال أوتاكيه بالنيابة عنها ، وكأنه يهدهد طفلاً ناعساً .

الأستاذ على الأقل كان يسمعه . تمتم بشيء ما لنفسه . احتبس صوته في حنجرته ، ولم اتبينّ ما قاله . جهز سكرتير الرابطة مغلّفاً ، ظاناً أن اللعبة المختومة قد تقررت . لكن الأستاذ جلس ساهماً ، وكأنه بعيد عما يجري حوله .

ولم أقرر بعد » قال أخيراً ، كان تعبير وجهه يوحي بأنه نأى في ابتعاده عن الواقع المحيط به ولم يعد قادراً على العودة بهدوء .

فكّر ست عشرة دقيقة اضافية . استغرقت الأبيض ٨٠ أربعاً وأربعين دقيقة .

(٢٢)

في ٣١ تموز نقل اللعب إلى شقة أخرى تدعى « الغرف الجديدة العارية »، وهي صفّ من ثلاث غرف مرة أخرى ، اثنتان منها بحصيرين والأخرى بستة . كانت الكتابات المؤطرة على الجدران كانت بخط راي ساينو ، ياماوكو تيسهو ، ويودا غاكاي[١٩] . كانت الشقة تعلو غرفة الأستاذ . أغصان نبتة الكوبيه الملتفة حول شرفة الأستاذ أشبه ببالون هائل متمدد . اليوم أيضاً كان ذو الذيل الخطافي يتنقل في جنباتها ، صورته تنعكس صافية على البحيرة . عريشة الوستارية أسفل الأفاريز مثقلة بالأوراق .

سمعت صوت ارتطام جسم بالماء حين كنت جالساً إلى الرقعة . كانت زوجة الأستاذ تقف فوق الجسر الحجري ترمي فتات الخبز في البحيرة . كان صوت ارتطام أسماك الكارب وهي تتقافز بحثاً عن الطعام .

ذلك الصباح قالت لي : « ينبغي أن أعود إلى طوكيو لاستقبال زوّار من كيوتو . الجو بارد وليس مريحاً تماماً ؛ ولذا بدأت أقلق من جانب آخر . أخشى أن يصاب ببرد ».

تجمع رذاذ خفيف من المطر ، سرعان ما تساقط في قطرات كبيرة . لم يلحظه أوتاكيه حتى لفت أحدهم انتباهه اليه .

« يبدو أن السماء تعاني بدورها من حالة مرضية في الكبد »، وهكذا قال .

لقد كان صيفاً ماطراً . منذ مجيئنا إلى هاكونيه لم تكتمل جولة واحدة دون أن تصاحبها الغيوم . وكانت الأمطار متقلبة . اليوم مثلاً سطعت الشمس فوق نبات الكوبيه بينما كان أوتاكيه منهمكاً في التخطيط

للأسود ٨٣ ، وكان الجبل مزدهياً بخضرة نضرة مغسولة ، ثم تلبدت السماء بالغيوم فجأة ومن جديد .

استغرقت الأسود ٨٣ وقتاً أطول ، ساعة وثمان وأربعين دقيقة ، من الأبيض ٧٠ . حدّق أوتاكيه بامعان في الجانب الأيمن من الرقعة ودفع جسمه وأريكته إلى الأمام . ثم دس يديه داخل الكيمونو ورجع بكتفيه إلى الوراء وكأنه ينشّط نفسه . كانت تلك علامته الدالة على أن فترة طويلة من التدبّر قد بدأت .

كانت المباراة تدخل مراحلها الوسطى . كل لعبة شاقة بحد ذاتها . المناطق التي أسرها الأبيض من الأسود بادية للعيان ، والوقت يقترب من اللحظة التي تجعل حساب التسجيل النهائي ممكناً ، تقدم من فورك إلى المكاشفة النهائية ، نفّذ اجتياحك لأرض الخصم ، ارم قفاز التحدي لانهاء القتال في مكان ما على الرقعة . حان الوقت للإيجاز ، ولرسم المراحل القادمة .

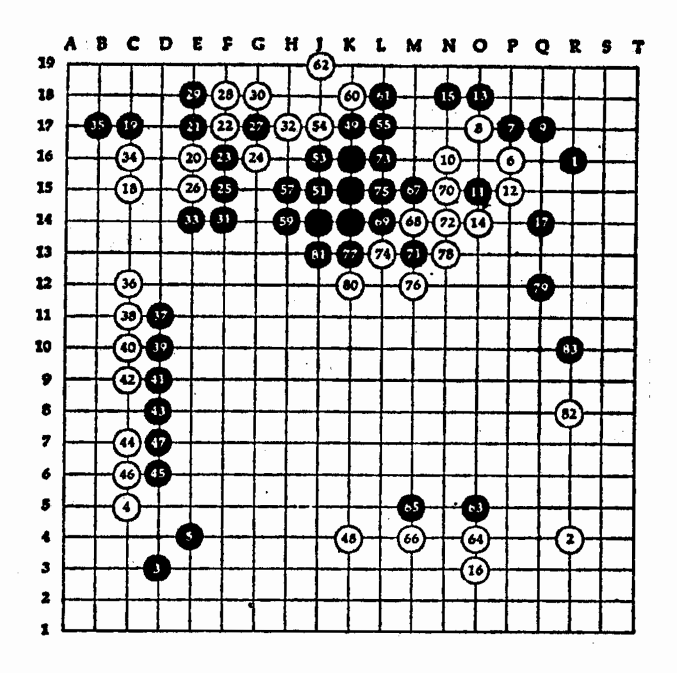
الدكتور فيليكس ويوبول ـ الذي تعلم الـ « غو » في اليابان وعاد إلى ألمانيا والذي عرف بلقب الهوينمبو الألماني ـ أبرق مهنئاً الأستاذ بمناسبة مباراة اعتزاله . نشرت صورة اللاعبين وهما يقرآن البرقية في عدد نيشينيشي الصباحي .

الأبيض ٨٨ كانت هي اللعبة المختومة في الجولة .

اكتشف ياواتا عضو الرابطة مغزى الحقيقة من فوره . « أنت تتلقى التهنئة يا سيدي على رقم السعد »(٢٠) ، هكذا قال للأستاذ .

بدا وجه الأستاذ وعنقه أكثر نحافة في النهار ، وكان مستبعداً أن يزدادا نحافة . لكنهما مع ذلك ظهرا في وضع صحي أفضل من ذلك اليوم القائظ في ١٦ تموز ، وفي أفضل روح معنوية هل يصح القول أن تساقط اللحم يجعل العظام أشد قوة ؟ .

لم يتنبأ أحد منا بانهياره الوشيك بعد خمسة أيام وجيزة . لكنه نهض بغتة



وكـأنه لم يعـد يطيق الانتـظار ، حين لعب أوتـاكيه الأسـود ٨٣ . طغى كـل ارهاقه فجـأة على السـطح . كانت الـدقيقة السـابعة والعشـرون بعد الثـانية عشرة ، وهو بالطبع موعد توقف الظهيرة ، ولكن لم يسبق لـلأستاذ أن غـادر الرقعة وكأنه يرفسها بعيداً عنه .

(٢٣)

« صلّيت وصلّيت لئلا يحدث ذلـك »، خاطبتني زوجـة الأستاذ صبيحـة ٥ آب . « أظن أن إيماني كان واهياً للغاية » .

وأيضاً : « كنت أخشى حدوث ذلك ، ولعله حدث لأنني قلقت كثيراً . لا شيء يمكن فعله الآن ما خلا الصلاة » .

ولأنني كنت المراسل الفضولي والمتحفز للنزال فقد ركزت كامـل اهتمامي على الأستاذ كبـطل يخوض معـركة ، وكلمـات الزوجـة التي رافقته كـل هذه السنين الطويلة بلغتني الآن وكـأنها تضرب في بقعـة عمياء . لم يكن بـوسعي التفكير في الاجابة .

أدّت المباراة الطويلة المجهدة إلى تفاقم حالة قلبه الذي عانى منه طويلاً ، ولا بد أن آلام صدره ازدادت حدّة خلال هذه الأيام . لكنه لم يسمح بتسرب كلمة واحدة غير ذلك . منـذ مطلع آب أخـذ وجهه يتـورم وتدهـورت حالـة صدره واشتدت آلامه .

تحددت جولة بتاريـخ ٥ آب ، وتقرر أن يقتصـر اللعب على سـاعتين في الصباح ، كان على الأستاذ أن يخضع لفحص طبي قبل استئناف اللعب .

« الطبيب ؟ » سألنا .

لقد ذهب الطبيب إلى شينـوكوهارا في حالة طارئة .

« حسناً . لعلنا نبدأ الآن . .

جلس الأستاذ إلى الرقعة وبهدوء بالغ تنـاول وعاء الشـاي بيديـه واحتسى من الشراب القوي . ثم طـوى يديـه قليلاً فـوق ركبتيه وأنهض جسـده . كان تعبير وجهه أقرب إلى تعبير طفل يـوشك عـلى البكاء. الشفتـان المغلقتان

انـدفعتا بحـزم إلى الأمـام . هنـاك تـورم استسقـائي في الخـدين ، والجفنـان منتفخان أيضاً .

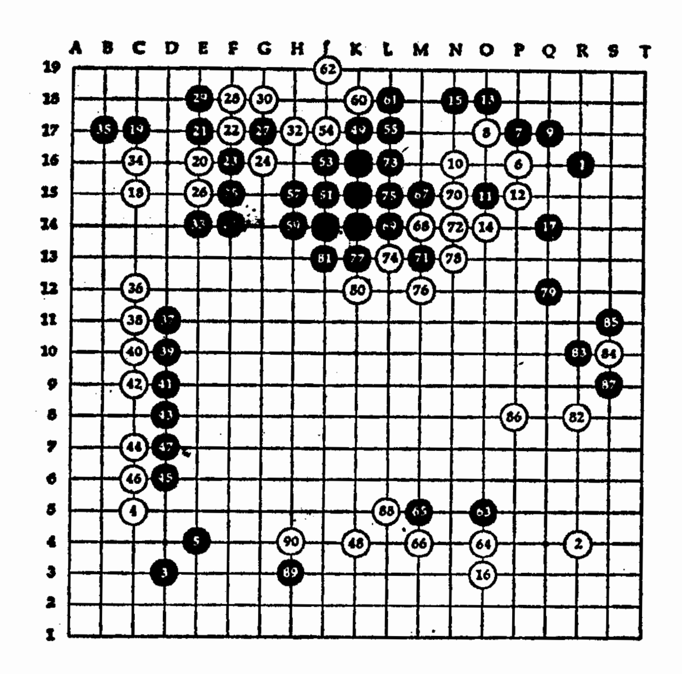
بدأت الجولة في موعدها تقريباً ، بعـد سبع دقـائق من العاشـرة ، اليوم أيضاً تحول الضبـاب إلى مطر غـزير . لكن السـماء انجلت على الفـور باتجـاه مجرى النهر .

فُضّت اللعبـة المختـومـة الأبيض ٨٨ . لعب أوتـاكيـه الأسـود ٨٩ بعـد انقضاء ساعة وثمان وأربعين دقيقة . أزفت الظهيرة ومرت ساعة ونصف ولما يقـرر الأستاذ لعب الأبيض ٩٠ ، استغـرق ساعتـين اضافيتـين وسبع دقـائق ليلعب في حالته الجسدية الهائلة . جلس طوال الـوقت مشدوداً إلى الأعـلى . لاح أن الورم يغادر وجهه . وفي النهاية تقرر ايقاف اللعب لفترة الغداء.

مددت استراحـة الساعـة المعتادة إلى سـاعتين ، خضـع خلالهـا الأستاذ للفحص .

أعلن أوتاكيه أنه متوعك أيضاً . كان يعاني من متاعب فـي الهضم ، انه يتناول ثلاثة عقاقير لعـلاج المعدة وعقـاراً للوقايـة من الاغماء . ولقـد اشتهر بالاغماء اثناء المباريات .

« يحدث ذلك عادة حين ألعب بصورة سيئة ، حين افتقر إلى الـوقت ولا أشعر بالارتياح » ثم أردف : « انه يلّح على اللعب ، وسرعان ما سأمتنع عن اللعب أنا الآخر ».



لعبة الأستاذ المختومة ، الأبيض ٩٠ ، كانت قد تقررت حين عاد إلى الرقعة . « لا بد أنك منهك » قال أوتاكيه .

« أنا آسف . لقد أكثرت من الطلبات ». ليس أمراً عادياً أن يعتذر الأستاذ . انتهت جولة النهار .

« الورم لا يقلقني كثيراً » شرح لكوميه المحرر الأدبي لصحيفة نيشينيشي . « انها كل هذه الأشياء التي تجري هنا ، ورسم حلقة حول صدره . « أعاني من صعوبة في التنفس وتسرّع في النبض وأشعر أحياناً وكأن كتلة ثقيلة تضغط على صدري . بي هوى لاعتبار نفسي شاباً . لكني أصبحت أعيش مرور السنين ببطء ، منذ أن دخلت الخمسين ».

« سيكون أمراً رائعاً لو تمكن المحارب من مصارعة السنين » قال كوميه .

« انني أحس بالسنين الآن يا سيدي » قال أوتاكيه ، ثم أردف « وأنا بعد في الثلاثين ».

« انت مبكر قليلاً »، قال الأستاذ .

كان يقضي ردحاً من الوقت في غرفة الانتظار مع كوميه وغيره ، يتحدث عن الأيام السالفة ، كيف غادر صبياً إلى كوبيه ورأى الأضواء الكهربائية للمرة الأولى في مجلة بحرية .

« لقد منعت من لعب البليارد » نهض ضاحكاً . « لكن القليل من الشطرنج مسموح به . دعونا نلعب ».

و« قليل » الأستاذ ليس قليلاً في حقيقة الأمر .

« ربما استبدلناه بالمهاجونغ » قال كوميه إثر تلقّيه التحدي بلعب معركة أخرى . « لا يتعين عليك استخدام عقلك كثيراً ».

اكتفى الأستاذ بتناول الثريد والخوخ المملح على طعام الغداء .

(٢٤)

لا شـك في أن كوميـه قد حضـر بعـد وصـول خبـر مـرض الأستـاذ إلى طوكيو . كان مايبدا فويواكي المصنف سادساً وتلميذ الأستاذ حاضـراً أيضاً . المحكمان أونودا وايوامـوتو ـ وكـلاهما من المـرتبة السـادسة ـ كـانا بـين الحضور في ٥ آب ، وتاكاغي استاذ الرينجو مرّ في طريقه إلى هاكونيه ؛ ودوي لاعب الشطرنج المصنف ثامناً ـ والذي يقيم في ميناشيتا ـ جاء للزيـارة أيضاً ، وأقيمت المباريات في كافة أرجاء المنزل .

أخذ الأستاذ بنصيحة كوميه واستقر رأيه على المهاجونغ ، وكان الآخرون قبالته : كوميه وايوامونـو وسونـادا مراسـل الصحيفة . لعب الآخـرون بحذر شديد إنهم ينظفون جرحاً ، لكن الأستاذ كعادته فقد نفسـه تماماً في المباراة . وحده بين الأربعة صرف فترات طويلة في التأمل .

« أرجـوك » قالت زوجتـه متضـايقـة . « اذا أجهـدت نفسـك فسيتـورم وجهك من جديد » . لم يبد عليه أنه سمعها .

كنت أتعلم الرينجو المتحرك[٢١] من تاكاغي راكوزان استاذ الرينجو الماهر في كل طرائق اللعب والمؤهل لابتكار ألعاب أخرى جديدة أيضـاً . انه يـوقع أي جمع في شراكـه . سمعت عن أفكاره في أحجية يضعها ويسميهـا « البكر المعزولة »[٢٢] .

بعد الغداء وطيلة الليـل لعب الأستاذ رينجـو[٢٣] نينوكي مـع ياواتـان رابطة الـ « غو » ومع غوي من صحيفة نيشينيشي .

غادر مايبدا بعد الظهر إثـر حوار قصيـر مع زوجـة الأستاذ . لقـد خشي سوء الفهم والشائعات فالأستاذ أستاذه وأوتاكيه صهره ، ولهذا تجنب اللاعبين

معاً . لعله تذكر الشائعات القائلة بأنه ابتكر اللعبة الرائعة ـ الأبيض ١٦٠ ـ في لقاء الأستاذ مع وو . في صبيحة اليوم التالي حضر الطبيب كاواتيما من طوكيو لفحص الاستاذ بمساع حميدة بذلتها الصحيفة . لم يكن صمام الأورطي ينفلق بشكل سليم .

ما كاد الفحص ينتهي حتى هرع الأستاذ المعتكف في فراشه إلى رقعة الشطرنج ، كان أونودا شريكه واستخدم هجوم « الفضة غير المرقاة »[٢٤]. بعد ذلك خاض أونودا وتاكاغي استاذ الرينجو مباراة وفق القواعد الكورية[٢٥]. أخذ الأستاذ المتكيء على مسند كرسي يرقبهما ، « سنلعب الآن مباراة مهاجونغ » قال وكأنه لا يطيق انتظار النتيجة . ولأني أجهل المهاجونغ فقد احتاجوا إلى رجل اضافي .

« السيد كوميه ؟ » قال الأستاذ .

« السيد كوميه يودع الطبيب المسافر إلى طوكيو » .

« السيد ايواموتو ؟ » .

« لقد غادر أيضاً » .

« غادر ؟ » ردد الأستاذ الكلمة بوهن ويأس . وجدت أن خيبة أمله تحز في نفسي .

كنت أنا أيضاً عائداً إلى كاريزاوا .

(٢٥)

عند استشارة الأشخاص المعنيين في الصحيفة ورابطة الـ « غو » تقرر أن يذعن الطبيب كاواشيما من طوكيو واوكاجيما من فيتاشوتا لرغبات الأستاذ ، وأن يسمحا باستمرار المباراة . كانت شروطهما تقضي بابدال جولات الساعات الخمس كل خمسة أيام بجولات تستغرق نصف الزمن السابق كل ثلاثة أو أربعة أيام ، وذلك لتخفيض الجهد الذي يبذله الأستاذ . عليه أن يخضع لمعاينة طبية قبل وبعد كل جولة . انها الملجأ الأخير دون شك ، هذه الخطة المتمثلة في انهاء المباراة بأقل عدد ممكن من الأيام وترك الأستاذ يخلد للراحة ، وقد تبدو وسائل الراحة في منتجع ينابيع حارة وخلال مباراة تستغرق شهرين أو ثلاثة شرفاً كبيراً . أما بالنسبة للاعبين فقد كان نظام « الختم في صفائح » دالاً بصورة قاطعة على الحقيقة التالية : اللاعبون مختومون بصورة لصيقة بلعبة الـ « غو » . ولو سمح لهم بالعودة إلى بيوتهم خلال توقفات الأيام الأربعة لكانوا خلّفوا رقعة الـ « غو » وراءهم وانصرفوا بأذهانهم عنها ؛ وأصبحوا بالتالي قادرين على الراحة ، لكنهم سجناء المكان ونادراً ما يحيدون عنه . لم يكن ممكناً أن تثور مشكلة لو أن « الختم » يمتد بضعة أيام أو اسبوعاً . لكن ابقاء الأستاذ الذي بلغ الرابعة والستين من عمره طوال شهرين أو ثلاثة عمل ينبغي وصفه بالتعذيب . الختم في صفائح هو التقليد السائد هذه الأيام . لكن أحداً لا يلتفت إلى الشرور التي يراكمها عمر الأستاذ وأمد المباراة . لعل الأستاذ نفسه يرى هذه القواعد الطنانة معادلة لإكليل غار .

انهار الأستاذ خلال أقل من شهر .

عند هذا الوقت المتأخر تحتم تغيير القواعد . كانت المسألة ذات فحوى

خطير بالنسبة لأوتاكيه . لو كان الأستاذ غير قادر على احترام الاتفـاق الأصلي فإبطال المباراة هو الشيء الوحيد المشرّف .

لم يكن بـوسع أوتـاكيه أن يقـول ذلك تحـديداً ، لكنـه أودع احتجاجه ـ « لست أنال قسطاً كافياً من الراحة في ثلاثة أيام ، ولا أستطيـع تنفيذ ريـاضة المشي في ساعتين ونصف فقط » .

استسلم للأمر . لكن تباريه مع عجوز متعب وضعه في موقف صعب ، لا أريـد أن يقال بـأني أجبرت مـريضاً عـلى اللعب ، سرعـان مـا أعجـز أنـا بـدوري عن اللعب ، وهـو يصـرّ عـلى اللعب ؛ لكنني لم اتـوقـع التفهم من الآخرين ، انا واثق كل الثقة بأنهم سيأخـذون بالتفسـير الآخر . لـو واصلت المبـاراة وساء وضـع قلبه فسيلومني الجميع . جميل حقاً . سوف يتـذكـرونني كشخص وصم تاريخ اللعبة بالعـار . ثم ألا تفرض علينـا الانسانيـة المحضة أن نعطيه من الوقت ما يحتاجه للشفاء ثم نعاود مباراتنا ؟ » .

بدا واضحاً أنه يقصد باختصار الحديث عن صعوبة اللعب مع رجـل لا مـراء في شدة مـرضه . لا يـريد لأحـد أن يرتـاب في انتهازه فـرصـة المـرض لتحقيق الفوز ، وسيكون موقفه أسوأ لو خسر » .

المحصلة غـير واضحة حتى الآن . الأستـاذ قادر عـلى نسيان مـرضه كلما جلس إلى الـرقعة ، وأوتـاكيه المتضـرر يجاهـد للنسيان ، لقـد بـات الأستـاذ شخصية مأساوية . استشهـدت به الصحيفـة للقول أن أقصى مـا يرغب بـه لاعب هو الانهيار أمام الرقعة . لقد أصبح شهيداً ، مضحياً بنفسه في سبيـل فنّه . أما أوتاكيه العصبي الحساس فقد تحتم عليه مواصلة الصـراع كأنـه غير مكترث بمحن خصمه .

حتى مراسلو نيشينيشي قالوا إن المسألـة أضحت الآن جزءاً من الشعـور الانساني المحض . ومع ذلك فالصحيفة راعية مبـاراة الاعتزال هـذه هي التي رغبت في استمرار المباراة تحت اي ثمن . قُـدّمت المباراة في حلقـات مسلسلة وشاعت أخبارها لدى الجميع . كانت تقاريري تفعل فعلها أيضاً ، ويتابعهـا حتى أولئك الذين لا يفقهون شيئاً في الـ « غو » . كان بينهم من أوحى إلي بأن

الأستاذ يكره فكرة خسران ذلك الأجر الضخم . ولقد اعتبرتهم قاصري النظر بعض الشيء .

في الليلة التي سبقت الجولة التالية ـ المقررة في ١٠ آب وفق الجدول ـ ضوعفت الجهود لاغفال احتجاجات أوتاكيه . شذوذ طفولي ما داخل أوتاكيه يدفعه إلى الرفض حين يقبل الآخرون ، قسوة ما في فؤاده تمنعه من المسايرة حين تبدو المسايرة أمراً لا غبار عليه ، فضلاً عن افتقار مراسلي الصحيفة واداريي رابطة الـ « غو » للقدرة على الاقناع ليس هناك حلّ متوفر . كان ياسوناغاهاجيمينيه من المرتبة الرابعة صديقاً يدرك أطوار دماغ أوتاكيه ، وكانت له تجارب وافرة في التوسط وفض النزاعات . تقدم خطوة حين اقتنع أوتاكيه بالسبب ولكن تبيّن أن النزاع أكبر منه .

في وقت متأخر من الليل جاءت السيدة أوتاكيه مع طفلها قادمة من هيراتسوكا ، بكت وهي تجادل زوجها . كان خطابها حاراً ورقيقاً وخالياً من أي اضطراب حتى حين انتحبت بل ان أسلوبها لم يوح اطلاقاً بمظهر الزوجة الفاضلة الساعية الى الإصلاح وتهدئة الخواطر ، كان التماسها الدامع مخلصاً كل الإخلاص . نظرت اليها باعجاب .

كان والدها يدير منتجع مياه حارة في جيفوكوداني من أعمال شينشو . ولقد شاعت في عالم الـ « غو » حكاية انعزال أوتاكيه و وو في المنتجع لدراسة افتتاحيات جديدة . كنت أنا نفسي قد سمعت طويلاً عن جمال السيدة أوتاكيه ، منذ صباها في الحقيقة . علم شاعر شاب ينحدر من مناطق مرتفعات شيفا بالشقيقات الجميلات في هيفوكوداني وأفصح لي حينذاك عن انطباعاته ومشاعره .

كدت أجنّ بعض الشيء لصورة الزوجة المطيعة المستكينة قليلاً ، التي رأيتها في هاكونيه ؛ لكن صورة الأم المنصرفة للواجبات المنزلية لم تترك لها سوى وقت قليل للعناية بمظهرها الخاص ، ومع ذلك ما أزال أرى الجمال الرعوي لصباها الجبلي . الحصانة الرقيقة بادية على محياها . خيّل إلي انني لم أبصر طفلاً أكثر بهاء . كان ذلك الصبي ذو الأشهر الثمانية يملك من القوة

والتفتح ما يجعلني أفكر في سمة ملحمية ما يتصف بها أوتاكيه ذاته . كان جلد الطفل ناعماً وناصعاً .

حتى هذه اللحظة ، وبعد اثنتي أو ثلاث عشرة سنة ، تتحدث كلما رأيتها عن « الطفل الذي تلطفت كثيراً فامتحدته ». وأفهم أنها تخاطب الطفل ذاته : « هل تتذكر الأشياء اللطيفة التي قالها عنك السيد أوراغامي في مقالاته الصحفية ؟ ».

اقتنع أوتاكيه بملاحظات زوجته . كانت أسرته هامة لديه .

وافق على اللعب ، لكنه ظل مستيقظاً طوال الليل . تواصل قلقه في الخامسة أو السادسة صباحاً أخذ يذرع القاعات . رأيته في الصباح الباكر مرتدياً ثيابه الرسمية ومستلقياً على أريكة قرب بهو الدخول .

(٢٦)

لم يطرأ تغيير جذري على حالة الأستاذ في اليوم العاشر ، وسمح الأطباء بمواصلة الجولة . لكن خديه تورمّا وأصبح جلياً لنا جميعاً أنه يزداد ضعفاً . حين سئل عما اذا كان راغباً في اجراء الجولة في المبنى الرئيسي أو في الغرف الأخرى الخارجية ، أجاب أنه لم يعد يستطيع السير .

ولأن أوتاكيه اشتكى سابقاً من الشلال القريب من المبنى الرئيسي فقد بات مضطراً للاذعان إلى رغبات أوتاكيه . كان الشلال اصطناعياً واتخذ قرار بايقافه وعقد الجولة في المبنى الرئيسي . احسست في كلمات الأستاذ بموجة من الحزن القريب من السخط .

كان الأستاذ يتخلى عن كفالته لحالته الجسدية كلما استغرق في اللعب . ترك كل شيء للاداريين ولم يقدم أية طلبات . حين دار جدل واسع حول تأثيرات مرضه على اللعبة انزوى الأستاذ ساهماً منعزلاً وكأن الأمر لا يعنيه .

طلع القمر في ليله العاشر ، وكانت الشمس لاهبة في الصباح ، الظلال واضحة والسحب البيضاء متألقة . كان هذا أول طقس حقيقي لمنتصف الصيف منذ بدء المباراة . أوراق نبات النيمو متفتحة حتى أقصى مدى لها . اللون الأبيض الناصع في أشرطة عباءة أوتاكيه كان خلاباً وفاتناً .

« أليس جميلاً أن يستقر الطقس ؟ » لاحظت زوجة الأستاذ . لكن تغييراً طرأ على وجهها . كانت السيدة أوتاكيه شاحبة أيضاً بتأثير النوم . حامت الزوجتان من حول الزوجين ، العيون في الوجوه المتعبة تضج بقلق صارخ جلي . كانتا بدورهما تبدوان شبيهتين بالنسوة اللواتي لم يعدن يسعين إلى اخفاء أنانيتهن .

كان ضوء منتصف الصيف ساطعاً . اتخذت هيئة الأستاذ مهابة قاتمة في خلفية الضوء . جلس المتفرجون برؤوس مطرقة وهم يتحاشون النظر في وجه الأستاذ فعلياً. لزم أوتاكيه الصمت لهذا اليوم ، وهو المولع كثيراً بالمزاح .

هل يتحتم المضي في اللعب حتى ضمن هذا التصرف ؟ سألت نفسي متأسياً لحال الأستاذ . ما هذا الشيء الذي يسمونه الـ « غو » ؟ الموت يقترب . . الروائي ناوكي سانجوغو كتب ما يعتبره فضولاً أو مادة في السيرة الذاتية أسماها « الأنا » . قال أنه يجسد لاعب الـ « غو » : « لو اختار المرء ألا يضع اعتباراً للـ « غو » فلن يكون له اعتبار إطلاقاً ، ولو اختار اعتباره ذا قيمة فهو ذو قيمة بصورة مطلقة » .

« هل أنت وحيدة على الدوام ؟ » توجه بسؤاله الى البومة الرابضة على المنضدة أمامه . التفتت البومة لتتلف صحيفة حملت تحليلاً لمباراة الأستاذ مع وو ، تلك التي انقطعت بسبب مرض الأستاذ . كان ناوكي يروم اختبار قيمة كتاباته الشعبية في ضوء السحر الجبار الذي يضعه الـ « غو » تحت تأثيره ، فضلاً عن عالمه القائم على التنافس المحض .

« انني متعب كثيراً » لا بد لي من كتابة ثلاثين صفحة في التاسعة من هذا المساء ، والساعة الآن تناهز الرابعة والنصف . لست أعبأ في الحقيقة . أظن انهم سيسمحون لي باضاعة يوم كامل على بومة . كم هو قليل ما منحته لنفسي ، وكم هو كثير ما منحته للصحافة والقوى الأخرى المعيقة . وها هي الآن تعاملني بكل برودة ! » .

نذر نفسه للموت . تعرفت على الأستاذ ورأيت وو عن طريقه .
شخصية ناراكي في أيامه الأخيرة تنطوي على عنصر يمت بصلة إلى عالم الأشباح ، وهناك شيء يتصل بالأشباح في شخصية الأستاذ الجالس أمامي .

لكن المباراة تواصلت تسع مرات خلال الجولة . حلّ دور أوتاكيه في الثانية عشرة والنصف ، الموعد المحدد للتوقف . غادر الأستاذ الرقعة . مكث الأستاذ وحيداً للتفكير في لعبته المختومة ، الأسود ٩٩ .

أثير نقاش مرح للمرة الأولى ذلك اليوم . « نفذ مني التبغ ذات مرة حين كنت في صباي » قال الأستاذ وهو يدخن بمتعة . وفي تلك الأيام كان الجميع يدخنون الغليون ، حتى أننا اعتدنا على حشو غلايينا بالكتان . كان يفي بالمهمة على أحسن وجه » .

انبعثت رائحة توحي بهبوب نسيم بارد . الآن وقد انسحب الأستاذ من الرقعة تابع أوتاكيه تفكيره العميق وأزاح عباءته ذات النسيج ا العنكبوتي .

حين عاد إلى غرفته باشر الأستاذ من جديد تحدّيه لأونودا في الشطرنج . قيل أنه لعب المهاجونغ بعد الشطرنج .

لقد أصبحت أرض النزال أشد وطأة من أن تحتمل فقررت الذهاب إلى نزل فوكوجورا في تونوساوا . حين أنهيت قسط اليوم من كتابة التقرير غادرت إلى منزلي الصيفي في كارويزاوا .

(٢٧)

كان الأستاذ في شهيته للألعاب أشبه بقنفذ يتضور جوعاً . كان يستثير الآلام التي تعتمل في قلبه ، مغلقاً على نفسه غرفته وسط ألعابه . لكنه مع ذلك شخص باطني غير معتاد على تقلبات المزاج ، ولعله أيقن أن الألعاب وحدها هي التي تهدىء أعصابه وتصرف ذهنه عن الـ « غو »، لم يكن يذهب في نزهة على الأقدام أبداً .

ويهوى معظم لاعبي الـ « غو » المحترفين ألعاباً أخرى ، لكن إدمان الأستاذ خاص في طبيعته . لم يكن بوسعه ممارسة مباراة سهلة عابرة ، دون أن يهمل راحته ويدعها جانباً . ليس من نهاية لصبره واحتماله . لعب ليلاً ونهاراً ، وبدا هوسه مثيراً للمتاعب والقلق ، فلم يكن يلعب لنبذ الكآبة أو دفن الملل بقدر ما كان يلقي بنفسه بين أنياب شرور اللعب . كان يكرس نفسه للمهاجونغ والبليارد كما يكرس نفسه للـ « غو ». ولو تغاضى المرء عن ذلك الضيق الذي يسببه لخصومه ، فسيقال ربما أن الأستاذ نفسه كان صدوقاً وطاهراً إلى الأبد ، لم يكن شبيهاً بشخص مألوف ذي اهتمامات مكثفة بعض الشيء ، وبدا ضائعاً في أصقاع شاسعة مترامية .

لا بد له من الانغماس في لعبة أو أخرى ، حتى خلال مواصلة الجولة والعشاء ، ولا يكون ايواموتو قد فرغ من زق الساكي حتى يهرع الأستاذ اليه نافذ الصبر .

في نهاية جولة هاكونيه الأولى طلب أوتاكيه من الخادمة رقعة « غو » باعتباره هجع إلى غرفته . كنا نسمع قرقعة الأحجار ، ولا بد أنه يراجع مجريات المباراة . ظهر الأستاذ فجأة في مكتب المدير وهو يرتدي كيمونو

قطنيا ، هزمني بعزيمة لا تلين في خمس أو ست مباريات من نينوكي رينجو .

ولكنها لعبة من الوزن الخفيف » قال مشاكساً وهو يخرج . « سنلعب الشطرنج ».

« هناك رقعة في غرفة السيد أوراغامي ».

مباراته مع ايواموتو قوطعت بالعشاء وذلك عند محاصرة الرخ .

جلس ايواموتو سعيداً بشرابه المسائي ، وأرخى جسده بجلال عاقداً قدميه . لطم فخذيه العاريين ، لكنه خسر في اللحظة المناسبة .

بعد العشاء علت أصوات الأحجار من غرفة أوتاكيه ، لكنه سرعان ما نزل ليشارك في ألعاب حصار الرخ مع سونادا من صحيفة نيشينيشي ومعي شخصياً . « لا بد أن أغنّي حين ألعب الشطرنج . اعذراني من فضلكما . أحب الشطرنج حقاً . اسأل نفسي وأسألها ثانية ، لكني حتى الآن لم أفهم كيف أصبحت لاعب غو بدلاً من لاعب شطرنج . لقد مارست الشطرنج أكثر من الـ « غو ». لا بد انني تعلمته في الرابعة من عمري . ليس في هذا السن بالضبط ، ولا بد أن يكون المرء أقوى في اللعبة التي تعلمها أولاً . . . بسعادة طافحة كان يغني أناشيده الخاصة المختلطة بالتوريات والغمزات ، أغاني الأطفال والأغاني الشائعة .

« أظن بأنك أقوى لاعب شطرنج في الرابطة » قال الأستاذ .

« لا أدري . . انت أيضاً ماهر يا سيدي . لكن أحداً من أعضاء الرابطة لم يحرز المركز الأول في الشطرنج . أظن انني سأحصل على اللعبة الأولى حين أمارس الرينجو معك . انني لا أتقن النقلات النموذجية ذاتها . اكتفي بشق طريقي فقط . أظن انك تحتل المرتبة الثالثة يا سيدي ؟ ».

«ولكني اشك في قدرتي على هزيمة محترف من الدرجة الأولى . الاحتراف يكسب المرء قوة ».

« استاذ الشطرنج السيد كيمورا ، ما هو مستواه في الـ « غو »؟ .

« لعله في المرتبة الأولى . يقولون أنه تحسّن مؤخراً ».

همهم أوتاكيه بعد خوضه معركة مع الأستاذ دون حصار للرخ [٢٦]. وقع الأستاذ في اغراء المهمة بدوره . تلك خفة غير معهودة عند الأستاذ . أخذه الطرب بعد ترقيه رخه[٢٧] .

كانت مباريات الأستاذ في الشطرنج حافلة بالصخب والمرح تلك الأيام ، لكن المرض نال منه وجعل سيماء الأشباح بادية عليه . لقد تعين عليه ممارسة المباريات للترويح عن نفسه حتى بعد جولة ١٠ آب . كنت أحس أنه أشبه بمن يقاسي عذابات الجحيم .

حددت الجولة التالية في ١٤ آب . لكن الأستاذ ازداد هزالاً وبرّح به الألم ، أخذ الاداريون يحثون على تأجيل المباراة . أسلمت الصحيفة أمرها للأمر الواقع . قام الأستاذ بلعبة واحدة في ١٤ آب ، ثم طولب بالاستراحة .

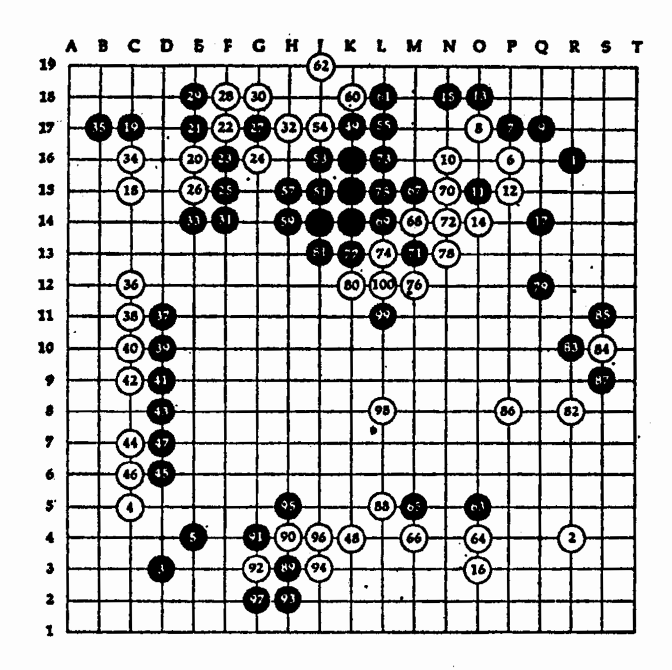
جلس كل لاعب إلى الرقعة ، رفع وعاء أحجاره عن الرقعة ووضعه على ركبته . بدا الوعاء ثقيلاً جداً على الأستاذ . وضع اللاعبان بدورهما الأحجار في الأماكن التي كانت عليها في الجولة الأخيرة ، وفق المسار السابق للمباراة . بدت أحجار الأستاذ وكأنها تنزلق بين أصابعه ، ولكن حين اكتملت الصفوف لاح أنه يتعافى ويكتسب قوة جديدة ، وأصبحت قرقعة الأحجار اكثر حدة ، استغرق الأستاذ ثلاثين دقيقة للتفكير في لعبته ظل خلالها هامداً في مكانه ، ثم وافق على ختم الأبيض ١٠٠ .

« أظن أنني استطيع مواصلة اللعب لبعض الوقت »، قال الأستاذ .

لا شك أن مزاجه كان يميل إلى خوض المعركة . عقد الاداريون مؤتمراً عاجلاً . لكن الوعد وعد . تقرر انهاء الجولة باللعبة المختومة .

« لا بأس اذاً » حملق في الرقعة حتى بعد أن ختم الأبيض ١٠٠ .

« مضى زمن طويل يا سيدي ، وقد سببت لك متاعب جمة » قال



(المئة لعبة الأولى)

أوتاكيه ، « أرجو أن تلتفت إلى نفسك » .

« نعم » . اكتفى الأستاذ بهذه الكلمة . أجابت زوجته برد طويل .

« مئة لعبة تماماً . كم عدد الجولات ؟ » سأل أوتاكيه ثم أردف : « عشر ؟ اثنتان في طوكيو وثمان هنا في هاكونيه ؟ عشر نقلات في الجولة » .

حين ذهبت فيما بعد لأستأذن الأستاذ في الانصراف كان يتطلع ساهماً في سماء الحديقة .

سرعان ما سيمضي إلى مشفى سان لوك ، وليس واضحاً أنه سيحظى بتسهيلات خاصة في القطار لبضعة أيام .

(٢٨)

انتقلت أسرتي إلى كارويزاوا في نهاية تموز ، وكنت أتنقل بـين كارويـزاوا وهاكونيه . ولأن الرحلة استغرقت سبع ساعات لكل طريق فقـد توجب عـلي مغادرة منزلي الصيفي قبل الجولة . كنت أقضي الليل في هـاكونيـه أو طوكيـو عقب انتهاء كل جولة . بذلك تكلفني كل جولة ثلاثة أيام .

في اليوم الخامس من الجولات أنطلق ثانية بعد استراحة يومين ، وعندها يتوجب عليّ أن أعدّ تقاريري . كان صيفاً ممطراً منفـراً أصابني بـالارهاق في النهاية . ربما قيل أن الشيء المعقول هو المكوث في نزل هاكونيه ، لكني كنت أهرع ثانية بعد كل جولة قبل أن أفرغ من تناول عشائي .

باتت الكتابـة عن الأستاذ وأوتـاكيه صعبـة عليّ حـين كنا نجتمـع معاً في النزل . كنت أهبط إلى ميناشيتا أو تونوسارا حتى خلال الليالي التي أقضيها في هـاكونيـه . لقد أقض مضجعي أن أكتب عنهما وأتـواجـد معهـما في الجـولـة التالية . منـذ أن بدأت في تغـطية مبـاراة ترعـاها صحيفـة ما تحتم عـلي اثارة الفضول . بشيء من الزركشـة الضروريـة هناك فـرصة في أن يتمكن قـرائي الهواة من فهم جماليات الـ « غو » الأكثر حساسية ، وتوجب علي خلال ستين أو سبعـين حلقة[٢٨] أن أجعـل مادتي الأسـاسية مقتصـرة على شـرح الطريقـة والمـظهر والمـلامـح والسلوك العـام لـلاعبـين . لقـد كـانـوا هم الملوك وكـان الاداريون والمراسلون أفـراد رعيتهم ، فالكتـابة عن الـ « غـو » أشبه بمـطاردة ذات جلال سام وأهمية مطلقة ، ولم يكن بوسعي التـظاهر بفهمهـا على وجـه تام ، وتحتم علي أن أحترم اللاعبـين وأبدي لهم الاعجـاب . في هذا الـوقت كنت قـادراً على الشعـور بالاهتمـام بالمبـاراة فقط بل الإحسـاس بالـ « غـو » كفن ، وذلك لأني اختزلت نفسي إلى نقطة اللاشيء وأنا أحملق في الأستاذ .

في اليوم الذي استؤنفت فيه المباراة أخيراً كنت غارقاً في حالة تأمل عميق وأنا استقل قطاراً من محطة اونيو قاصداً كارويزاوا . وحالما وضعت حقائبي على الرف هرع نحوي أجنبي طويل القامة من مكانه الذي يبعد خمسة أو ستة مقاعد عني .

« هذه رقعة « غو » دون شك » .

« ذكاء منك أن تعرف ذلك » .

« لدي مثلها أيضاً . ابتكار عبقري » .

كانت الرقعة مغناطيسية مزخرفة بغلاف مذهب ، وهي تناسب اللعب في القطار . لم يكن التعرف على الرقعة سهلاً وهي داخل غطائها . اعتدت اصطحابها معي في رحلاتي ، فهي لم تكن تضيف جزءاً ثقيلاً إلى أمتعتي .

« أنلعب دوراً ؟ اني مفتون بها » . كان يتحدث باليابانية . بادر من فوره إلى بسط الرقعة على ركبتيه . ولأن ساقيه كانتا طويلتين وركبتيه عاليتين فقد بدا وضع الرقعة على ركبته حلاً مقبولاً .

« انني مصنف في المرتبة الثالثة عشرة »[٢٩] ، قال بتصميم حذر ، كأنه يقوم بحساب مبلغ مالي ، كان أمريكياً .

حاولت في البداية اعطاءه فرصة وضع خمسة أحجار . لقد تلقى دروساً في رابطة الـ « غو » وتحدى بعض مشاهير اللاعبين . رتّب تشكيلاته في الأسفل بصورة جيدة كافية ، لكنه لعب بطريقة خالية من التفكير ، ولم ينخرط في اللعبة فعلياً . لم تكن الخسارة تزعجه في نهاية المطاف . كان سعيداً بممارسة لعبة تلو أخرى ، كأنما كان من السخف بالنسبة له أن يأخذ لعبة واحدة على محمل الجد . صنّف قواه إلى الأعلى وفق الأنماط التي لقنت له ، فكانت نقلاته الافتتاحية ممتازة . لكنه كان يفتقر لارادة القتال . ولو كنت حاصرته قليلاً أو قمت بنقلة مفاجئة لانهار تماماً . كنت كمن يقذف بخصم هائل لكنه رديء التوازن في مباراة مصارعة . والحق أن هذه السرعة في الخسارة جعلتني أفكر بقلق : هل أخفي في قرارة نفسي شيئاً شريراً ؟ وبمعزل عن مسائل المهارة لم أشعر بأية استجابة ، بأية مقاومة . لم يكن هناك

ايقاع عضلي في أسلوب لعبه . المرء يعثر دائم على دافعٍ تنافسي لدى اليابـاني مهما بلغ قصوره في المباراة . ومن النادر أن يصادف مثلا على هذه الدرجة من غياب الصلابة . كانت روح الـ « غو » مفقودة . اعتبرت الأمر برمته غريباً ، وكنت أدرك بأني محاصر بحالة أجنبية مطلقة .

لعبنا لأكثر من أربع ساعات ، من أونيو وحتى مشارف كارويزاوا . كان مبتهجاً ومحصناً ضد الانهيار، غير متضايق من الجولات التي خسرها وبدا أنـه استنفـذ طاقتـه بسبب هذه الـلامبالاة ذاتهـا . لقد اعتبـرت نفسي أقـرب إلى الشذوذ والقسوة في مواجهة هذا العجز النزيه .

تجمع من حولنا أربعة أو خمسة مسـافرين ، إذ أثـار فضولهم ذلـك المشهد الغـريب لأجنبي أمام رقعـة « غـو » لقـد أثـاروا أعصـابي ، لكنهم لم يكونوا يسببون مضايقة للأجنبي الذي كان يخسر دون مشقة .

لقد كان الأمر بالنسبة له أشبـه بخوض نقـاش بلغة أجنبيـة تعلمها عبر نصوص نحوية . المرء بالطبع لا يتمنى أخذ اللعبـة على محمـل الجد التام ، ولكنه كان جلياً أن ممارسة الـ « غو » مع أجنبي تختلف تماماً عن ممارستـه مع ياباني . وتساءلت . هل السبب أن الأجـانب لم يخلقوا للعب الـ « غـو »؟ في هـاكونيـه لوحظ أكـثر من مرة وجـود خمسة آلاف من متـطوعي اللعبـة لـدى الـدكتور ديـولول في ألمانيا ، وأنها أخـذت تستقطب الاهتمـام في أمـريكـا أيضاً . والمرء بالطبع يسارع إلى التعميم عبر نموذج واحـد لمبتدىء أمـريكي ـ ولكن لعل النتيجة تبقى قائمة فيـظل الـ « غو » الغـربي مفتقراً للروح . لقـد ذهبت اللعبة الشرقية إلى مدى أبعد من مجرد اللعب واختبـار القوة فـأصبحت أسلوباً في الفن . انطوت على غموض ونبل شرقيين ، ان « هو ينمبو » التابعة لهوينمبو شوساي هي اسم حجرة في معبد جـاكوجي في كيـوتو ، ولقـد تلقى الأستاذ شوساي بنفسه أوامر مقدسة . في الذكرى المئويـة الثالثـة عشرة لـموت أول أفراد هوينمبـو ـ سانسـا(٣٠) أو نيكاي وفق تسميتـه الاكليركيـة . استحق لقب « نيشيـون » في الهيكـل . ولقـد خيـل إلي وأنـا ألاعب الأمـريكي ان الـ « غو » لعبة ليس لها تراث في بلاده .

لقـد وصلت اللعبة إلى اليـابان قادمـة مـن الصـين . لكن الـ « غو »

الحقيقي تطور في اليابان وفن الـ « غو » في الصين لا يقارن بمثيله في اليابان ، الآن وقبل ثلاثمئة سنة .

لقد ارتقت اللعبة وتعمقت على يد اليابانيين . وبعكس العديد من الفنون المتحضرة الأخرى الوافدة من الصين ، وتطورت بصورة باهرة في الصين أيضاً ، ترعرعت اللعبة في اليابان دون سواها ، لقد حدث التطور خلال القرون الراهنة بطبيعة الحال ، وذلك حين تمتعت اللعبة برعاية ايدو شوغوناتي . ومنذ استيراد الـ « غو » إلى اليابان للمرة الأولى قبل آلاف السنين مرّت قرون طويلة بقيت فيها حكمته ونبله دون رعاية . لقد فتح اليابانيون الباب أمام القوة الاحتياطية لتلك الحكمة ـ وهو درب « الثلاثمئة والواحد والستين »[٣١] والذي رأى الصينيون أنه يشتمل على مبادىء الطبيعة والكون والحياة الانسانية ، والذي أسموه نهر الخالدين ، لعبة القوى الروحية الوفيرة . لقد بات واضحاً أن الروح اليابانية ارتقت بالـ « غو » فوق مستوى المستورد الطارىء المشتق .

ولعل أمة ما لم تطور ألعاباً عقلية مثل الـ « غو » والشطرنج الشرقي مثلما فعلت اليابان ، وربما لا يتوفر في أي مكان آخر من العالم مثال لمباراة تستغرق ثمانين ساعة على امتداد ثلاثة أشهر . هل تضرب لعبة الـ « غو »، مثلها مثل مسرح النو وشعائر الشاي ، جذوراً عميقة في قرارة إرث ياباني غامض ؟ .

لقد حدثنا شوساي الأستاذ عن رحلاته في الصين . لقد شملت ملاحظاته أساساً أولئك الذين كان يباريهم وأين ومتى تعطى فرصة لعدد من الأحجار .

«هل يصح اذاً أن أفضل لاعبي الصين ليسوا أكثر من هواة في اليابان ؟ » ، طرحت السؤال عليه معتقداً أن الـ « غو » الصينية لا بد أن تكون على درجة كافية من القوة .

« شيء من هذا القبيل كما أعتقد ، لعلهم أضعف قليلاً ، ولكن لا بد لي من القول أن هاوياً قوياً هناك يجاري هاوياً قوياً هنا . لا يوجد محترفون بالطبع ».

« اذا كـان هواتهم وهـواتنا متكـافئـين فهـل تقـول أنهم يمتلكـون خـامـة الاحتراف ؟ »

« أظن ذلك » .

« لديهم قدرة كامنة » .

« لكنها لا تتجسد في يـوم وليلة . هناك لاعبـون جيدون ، ولقـد علمت أنهم يحبون اللعب مقابل جائزة ما أو رهان » .

« لديهم مادة اللعب . » .

« هذا صحيح ، خصوصاً وأنهم قدموا شخصاً مثل وو » .

تقصدون زيارة وو المصنف في المرتبة السادسة . حين اكتمل شكل مباراة الاعتزال تحول جزء كبير من اهتمامي إلى شكل التعليق الذي لجأ اليـه . لقد فكرت به كمادة مساعدة لتقريري .

بدت ولادة هذا الـرجل في الصـين وترعـرعه في اليـابان أشبـه برمـز لمنّة خارقة للطبيعة . لقد انبثقت عبقريته بعد انتقاله إلى اليابان . شهدت القرون والأزمنة أمثلة متعددة لأشخاص من بلاد مجاورة تميزوا في فن أو آخـر وكُرّمـوا في اليابان . ان وو مثال ساطـع معاصـر . لقد كـانت اليابـان هي التي غذّت وحمت ورعت عبقرية كان مقدراً لها أن تظل راقـدة في الصين . لقـد اكتشف الصبي في الـواقع من قبـل لاعب « غو » يـاباني عـاش في الصـين ردحـاً من الـزمن . كان وو قـد درس المؤلفات اليـابانيـة عن الـ « غو » . ويبـدو لي أن تـراث الـ « غو » الصيني الأقـدم من اليـابـاني قـد غمـر الصبي بـدفقـة نـور مفـاجئة ، وراء منبع نور هائل ، لكنه دفين الأوحال . ولولا مـا أنعم عليه من فرصة صقل مواهبه منذ ريعـان صباه لـظلت تلك المواهب خفيـة إلى الأبد . ولا شـك في أن كبار لاعبي الـ « غـو » اليابـانيين ظلوا مغمـورين بدورهم . هـذا هو مصـير المواهب الانسـانية ، في الفـرد والعرق . الأمثلة عـلى ذلـك نجدها في فيالق الحكمة والمعرفة التي أضاءت في الماضي وخبت في الحـاضر ، والتي أهملت على مرّ الأجيال وفي الوقت الحاضر ، لكنهـا ستضيء من جديـد في المستقبل .

(٢٩)

كان وو المصنف في المرتبة السادسة نزيل مصح في فوجيمي إلى الغرب من جبل فوجي . بعد كل جولة من جولات هاكونيه كان سونادا الذي يعمل في صحيفة نيشينيشي يذهب إلى فوجيمي لكتابة تعليقاته . كنت أدخلها في المكان المناسب من تقريري . لقد اختارته الصحيفة لأنه وأوتاكيه كانا الأكثر ايحاء بالثقة بين اللاعبين الشباب ، وهما متنافسان قويان في المهارة وذيوع الصيت .

لقد أرهق نفسه كثيراً حين انخرط في الـ « غو » حتى سقط مريضاً ، كما أحزنته الحرب مع الصين إلى حد عميق . لقد وصف في احدى مقالاته شوقه لسلام مبكر ويوم يترافق فيه الصينيون واليابانيون في رحلة بالقوارب تشق عباب بحيرة تايي . قرأ أثناء عزلته في فوجيمي أعمالاً مثل « كتاب التاريخ »، « مرآة الخالدين » ، « أعمال لوتسو الكاملة »[٣٢]. لقد أصبح مواطناً يابانياً مطيعاً ، مطلقاً على نفسه الإسم الياباني كوريه ايزومي .

حين عدت من هاكونيه إلى كارويزاوا كان المنتجع الصيفي غاصاً بالطلاب رغم عطلة المدارس . أطلقت عيارات نارية . كانت أفواج الطلاب الاحتياطيين تؤدي تدريباتها ، والعديد من المعارف والأصحاب في عالم الأدب رافقت الجيش والقوات البحرية لحضور الهجوم على هانكو . لم يقع الاختيار علي لحضور الحفلة فتركتها ورائي وكتبت في تقاريري المرسلة إلى نيشينيشي عن ارتفاع شعبية الـ « غو » خلال زمن الحرب ـ وكيف يسمع المرء في معظم الأحوال قصصاً عن ألعاب تجري في معسكرات القتال ، وكيف يتشابه بدقة درب المحارب مع درب الفن ، بوجود عنصر العقيدة والايمان في كليهما .

وصل سونادا إلى كاريـزاوا في ١٨ آب واستقلينا القـطار على خط كـومي من كومورو . ذكر أن أحد المسـافرين أن اعـداداً هائلة من حشـرات تشبه أم أربع وأربعين قد خرجت ليلاً من مكامنها في مرتفعـات جبل يـاتسوغـات كيه لتبتـرد ، وأن أعدادهـا كانت من الضخـامة بحيث انـزلقت عجلات القـطار وكأن السكة قد شُحّمت . قضينا الليل في نبع ساغينويو الحار في كـاميسوا ثم مضينا في الصباح التالي إلى فوجيمي .

كانت غرفة وو فوق المدخل تمـاماً . في احـدى الزوايـا جثمت سجاوتـا تـاتامي . كـان يصور مـلاحظاتـه بأحجـار صغيرة فـوق رقعة خشبيـة صغيرة بسطها فوق أريكة صغيرة ومنصب قابل للطي .

في عـام ١٩٣٢ ، وفي دانكوينـو بمقاطعـة ايتـو ، شاهـدت مع نـاووكي سانجوغو كيف لعب الأستاذ مع وو مانحاً إياه فرصة حجـرين . في السنوات الست السـابقة كـانت صورتـه تدفـع المرء للتفكـير في صورة الصبيـة الشابـة الـرقيقة المتـألقـة ، بالكيمونـو الأزرق الغـامق المـرقش بـالأبيض وقصير الأكمام ، بالأصابـع الطويلة النحيلة ، بـالبشرة البضـة في منبت العنق . لقد اكتسب الآن وقـار راهب شاب مثقف ، فضلاً عن أن شكل الرأس والأذنين وملامح الوجه عموماً توحي كلها بالارستقراطية . وكان بمقدور القلائل فقط أن يعطوا انطباعا واحداً بمرأى عبقري .

صدرت ملاحظاته حرّة عفويـة رغم توقفه بين الحـين والآخر وانخـراطه في أمد قصير من التفكير وذقنه في يده . تألقت أوراق الكستنـاء وسط المطر . سألته كيف يشخّص اللعبة بصورة عامة .

« لعبة بالغة الحساسية . سوف تصبح لعبة متقاربة للغاية » .

ولقد استؤنفت في مراحلهـا المتوسـطة المبكرة ، وكـان الأستاذ نفسـه هو المتباري ، ولم يكن متاحاً للاعب المتنافس أن يتكهن بالنتيجة . ما أردتـه كان مجرد تعليقات على أسلوب اللعب وهو يأخذ معنى الأسلوب والمزاج بمجرد تقييم للعبة كعمل فني .

« انها مبـاراة ساحـرة » هكذا أجـابني . « بكلمة واحـدة هي لعبة هـامة

للاثنين معاً ، وكلاهما يلعب بأناة . لست أرى خطأ واحداً أو سهواً طفيفاً من كليهما . ليس المرء معتاداً على مباراة كهذه . أظن أنها مباراة ساخرة ».

« أوه ؟ » شعرت بشيء من خيبة الأمل . « أكاد أي أن الأسود يلعب مباراة محكمة . هل الأبيض كذلك ؟ ».

« نعم . الأستاذ يلعب بأناة بالغة ، بإحكام ودقة حين يلعب الطرف الأول مباراة دقيقة محكمة فعلى الآخر أن يحذو حذوه وإلا وجد وضعه منهاراً . لديهما وقت وفير ، وهي مباراة بالغة الأهمية ».

كان تقييماً لطيفاً غير مؤذ ، ولم يكن التقييم الذي أملت بالحصول عليه وارداً . وربما كان وصفه للعبة بأنها متقاربة يعد ضرباً من الجرأة والشجاعة . لكني كنت قد أملت في شيء أكثر عمقاً ، أكثر تأثيراً في الجانب الروحي ، خصوصاً وأنا أقع أسير إثارة عظمى تبعثها لعبة درستها بعناية منذ مراحلها الأولى .

كان ساتيو ريوتارو من مجلة بونجي شونجو يقضي فترة نقاهة في نزل مجاور . توقفنا لرؤيته . كانت غرفته إلى عهد قريب ملاصقة لغرفة وو . « في بعض الأحيان حين يهجع الناس جميعاً كنت أسمع قرقعة الأحجار في منتصف الليل . كان الأمر يبعث على القشعريرة حقاً ». ثم علق على ذلك الوفاء غير العادي الذي كان وو يشيع به زائريه حتى الباب .

بعد أمد قصير من مباراة اعتزال الأستاذ دعيت برفقة وو إلى منابع شيموغو في ايزو الجنوبية ، وعرفت حينذاك أحلام الـ « غو ». قيل لي أن اللاعب يكتشف أحياناً نقلة فائقة اثناء نومه . في أحايين أخرى يتذكر جزءاً من التشكيلة بعد استيقاظه .

« أمام رقصة الـ « غو » يخامرني على الدوام الشعور بأني رأيت لعبة مثلها من قبل واتساءل إن كانت قد جرت في الحلم ».

وقال وو ان أكثر خصومه حضوراً في الأحلام هو أوتاكيه المصنف في المرتبة السابعة .

(٣٠)

« ينبغي استئناف المباراة » هكذا سمعت الأستاذ يردد قبل ذهابه إلى مصح سان لوك» « لكني لا أرغب في وجود غرباء يحملقون في مباراة غير مكتملة ويقولون أن الأبيض يلعب جيداً وأن الأسود مثله كذلك ».

هذا النوع من الأقوال هو بالضبط ما يمكن أن يتفوه به الأستاذ ؛ ولكن هناك انتقالات في مدّ المعركة وجزرها تستغلق على الغريب فيستحيل عليه فهمها .

كان الاستاذ متفائلاً كما يظهر . بعد انتهاء المباراة أبدى ملاحظة للسيد غوي من الصحيفة ولي شخصياً ، « حين ذهبت إلى المشفى لم يخطر لي على الاطلاق أن الأبيض في وضع سيء . فكرت في أن أشياء غريبة تجري ، لكني لم أقلق حقاً » .

«انزلق»[٣٣] الأسود ٩٩ فوق مثلث أبيض ، وبالأبيض ١٠٠ آخر نقلاته قبل دخول المشفى جمع الأستاذ أحجاره . قال فيما بعد ـ اثر مراجعته للمباراة إنه لو لم يجمع أحجاره ويسعى للسيطرة على تشكيلة الأسود إلى يمين الرقعة ويمنع اختراقه للمنطقة البيضاء . « حين تبدى المظهر العام لهذه الصورة التي تسمح بالدموية من جانب الأسود ». بدا راضياً بالمسار المبكر للمباراة . وحقيقة قدرته على لعب الأبيض ٤٨ على « نقطة نجمة » بهدف السيطرة على الممرات في مراحل الافتتاح كانت تعني ما يسلم الجميع بأنه تشكيلة بيضاء نموذجية . وقال ان ذلك « أعقبه تحول الأسود ٤٧ إلى لعبة محافظة للغاية عند تخليه عن النقطة الاستراتيجية ، تلك التي لا تستطيع تفادي الاتهام بدرجة فتور معينة ».

رغم ذلك قال أوتاكيه في تأملاته الشخصية أنه لو لم يفعل ما فعله لبقيت فتحات للأبيض في الجوار ، وهذا مـا يكره السمـاح به . اتفق تعليق وو مـع رأي أوتاكيه .

كـانت الأبيض ٤٨ هي اللعبة المنـاسبة التي تـركت الأسـود وسط تحشـد كثيف هائل .

بـوسعي أن أتـذكـر كيف شهقت حـين أغلق أوتـاكيـه خـطوطـه عنـد الأسود ٤٧ واحتل الأبيض النقطة الاستراتيجية بالأبيض ٤٨ . كان احساسي بأسلوب أوتاكيه في اللعب عند الأسود ٤٧ أقل بكثير مما شعرت به ازاء العزم الرائع الذي دخل بـه المباراة . أعـاد الأبيض إلى الخط الثالث وانـدفع لبنـاء جهاره الهائل ، وعندها احسست بالتزام مطلق . لقد احتل مـوقعه . لم يكن مقدراً له أن يخسر المباراة أو يخدع بخطط الأبيض الاستراتيجية البارعة .

لـو بـدت المحصلة متقلبـةً في المـرحلة المتـوسـطة من المبـاراة عنـد الأبيض ١٠٠ لأنهك الأبيض قـوى الأسود ، غـير أن الأمر يتصـل في الحقيقة بانخراط أوتاكيه في مباراة قوية متأنية . كان الأسود يملك كثافـة أكبر ومنـطقة أكثر أماناً ـ وكان الزمن في متناول أوتـاكيه وتحـوله النـوعي ، نحو الهجـوم ، نحو الانقضاض على تشكيلات العدو وهو ما يتقنه على خير وجه .

كـان أوتـاكيـه المصنف في المـرتبـة السـابعـة يعتبـر حـالـة تقمص لهوينمبو جووا[٣٤] . كان جووا أعظم أستاذ لفن الهجوم في اللعبـة . وقد شُبّـه هوينمبو شوساي بجـووا أيضاً . جـوهر مبـاراة جووا يكمن في بنـائه اسواراً حصينـة في تقدمـه نحو معـركة مفتـوحة ، والقـائـه بكـل القـوى في الهجـوم الجبهوي . كان هذا اسلوباً رفيعاً ومضطرماً في لعبة الـ « غو » بل هو أسلوب مبهرج حافل بالأزمات وغني بالنقلات الحادة والتنويعات ، واسع الشيوع بين متوهمي اللعبة الهواة .

لهذا انتظر جمهور الهواة أن تشهد آخر مباريات الأستـاذ صراعـاً بين قـوة وقوة ، بين صدام عنيف وصدام عنيف ، حتى تصبح الرقعة مشهداً متشـابكاً مجيداً . ومن النادر أن تخون المحصلة ذلك التوقع بأكثر من هذا العمق .

بدا أوتاكيه حذراً من تحدي الاستاذ في لعبته المنسوبة اليه . كانت نقلته الافتتاحية تستهدف الحد من حرية الأستاذ في الحركة وتجنب التشابك الصعب في جبهة عريضة ، فانطلق يعدّ صفوفه وفق انساق نجح في الاستئثار بها على نحو غريب. ترك للأستاذ نقطة استراتيجية بينما كان يدعم أسواره . وما لاح سلبياً للوهلة الأولى تكشّف في الحقيقة عن غليان داخلي من العدوان والثقة الراسخة . ما لاح أنه تشبث محض تكشّف عن قدرة عارمة . لقد ظل صادقاً مع أهدافه الرافضة للتسوية فانتقل بين الحين والآخر إلى الهجوم الكاسح العنيف .

ولكن مهما بلغ حرص أوتاكيه على ابقاء صفوفه سليمة منتظمة ـ لا بد أن تتوفر للأستاذ على مدى المباراة فرصة وضع تحديه الجدي . راهن الأستاذ في الافتتاح على تحقيق مطالب واسعة في زاويتين . في الزاوية اليسرى العليا حيث رد أوتاكيه على الأبيض ١٨ بالأسود ١٩ في « ثلاثة بثلاثة » ١٧ ـ ٢ ، كان الأستاذ الذي أتمّ الرابعة والستين يتبع نسقاً محدثاً في مباراته الأخيرة هذه ؛ ومن تلك الزاوية اندلعت العاصفة . تلك هي البقعة التي كان بوسع الأستاذ أن يجعل الرد عليها عسيراً لو اختارها . لكنه ، بسبب من الأهمية البالغة التي يعلقها على هذه المباراة ، اختار لعبة أنظف وأقل تطوراً . رد الأستاذ على افتتاحيات أوتاكيه في أسفل هذه المرحلة المتوسطة ؛ وبينما كان يتقدم في ذلك الأداء المعبر عن عناصر أسلوب واحد ، وجد أوتاكيه نفسه مدفوعاً إلى سجال حساس متقارب .

لعلها كانت مباراة حتمية أعطت الأسود نقلته ، بينما أفسح الثبات مكاناً للاهتمام بكل نقطة ممكنة ، وهي سمة قد تثبت التطورات انها مكسب للأبيض في التحليل الأخير . لم يكن الأستاذ يطبق خطة بارعة وضعها بنفسه ولم يستفد من فرصة النقلة الرديئة ، لعلها محاولة إفصاح عن سنّه وتجربته ، افصاح عن حقيقة أن تشكيل الأبيض كان ـ مثله مثل جريان المياه وتدافع السحب ـ يأخذ شكله النهائي فوق المواقع السفلى من الرقعة استجابة لضغط متأن متواصل من الأسود ؛ بذلك أصبحت اللعبة متقاربة . لم تضعف طاقات الأستاذ بفعل السن ، ولم يفسدها الاعياء والمرض .

(٣١)

غادرت في الثامن من تموز ، قبل ثمانية أيام كاملة » قال شوساي الأستاذ ، العائد إلى بيته في سيتاغايا ، بعد خروجه من مشفى سان لوك . « لقد غبت طيلة الصيف وبعضاً من أيام الخريف أيضاً » .

ذرع بعض الأحياء والساحات ذلك اليوم ،وكانت تلك نزهته الأطول منذ شهرين . كانت قدماه واهيتين من أثر الرقود في الفراش . أصبح بعد أسبوعين من مغادرته للمشفى قادراً على الوقوف على عصبية بصورة طبيعية وبجهد غير بسيط .

« لقد تمرّست على الطريقة الصحيحة طيلة خمسين سنة ، والحق أنني وجدت الجلوس على العقبين أيسر من الجلوس والأرجل معقودة . خلال جلوسي لتناول الطعام الجأ إلى عقد رجلي تحت غطاء المائدة . كلا ، ليس الأمر أنني أجلس عاقد الرجلين . كنت ألقي بهاتين الرجلين الناحلتين أمامي . لم يسبق لي أن فعلت ذلك أبداً ، ويتوجب علي اعتياد نوبات طويلة من الجلوس على عقبي وإلا فقدت القدرة على متابعة المباراة . انني ابذل ما بوسعي للتدرب على هذه الطريقة ، ولكن ينبغي الاعتراف بأني ما أزال أواجه الصعوبات » .

حل موسم سباق الخيل الذي كان مغرماً به للغاية . كان عليه الاحتراس من قلبه ، لكنه في النهاية لم يعد قادراً على احتواء نفسه أكثر من ذلك .

« لقد فكرت في عذر جيد . قلت أنني سأجرب ساقيّ ومضيت الى حلبة فوشو . أشعر انني أكثر سعادة حين اكون في السباق . شعرت بأنني ألعب

بصورة أفضل في مباراتي . لكني أرهقت عند عودتي للبيت . افترض أن داخلي لم يعد صلباً أكثر من ذلك . ذهبت من جديد ولم أجد سبباً يعيقني عن اللعب . قررت اليوم أننا نستطيع البدء في اليوم الثامن عشر ».

دوّن توروساكي مراسل الصحيفة هذه الملاحظات بقصد نشرها من قبل . ذلك « اليوم » كان يصادف التاسع عشر من تشرين الثاني . بذلك يكون اللعب قد استؤنف بعد ثلاثة أشهر تقريباً من آخر جولات هاكونية التي جرت في ١٤ آب . ولأن الشتاء كان على الأبواب فقد اختيرت وانكوين في رايتو مقرّاً للمباراة الجديدة .

وصل الأستاذ وزوجته برفقة تلميذ يدعى موراشيما المصنف في المرتبة الخامسة وياواتا سكرتير اتحاد الـ « غو » إلى دانكوين في الخامس عشر من تشرين الثاني ، قبل ثلاثة أيام من استئناف اللعب . وصل أوتاكيه المصنف في المرتبة السابعة بتاريخ ١٦ تشرين الثاني .

كانت غياض ثمار اليوسفي بديعة فوق التلال ، بينما أخذت أشجار البرتقال المرّ تتحول إلى اللون الذهبي كلما انحدرت نحو الساحل . كان الجو غائماً وقارس البرد في اليوم الخامس عشر ، أما في السادس عشر فقد هطل مطر خفيف . أشار المذياع إلى سقوط الثلج هنا وهناك في الريف . لكن اليوم السابع عشر كان واحداً من أيام ايزو الخريفية المتأخرة الدافئة حيث يكون الهواء عليلاً رخيّاً . سار الأستاذ باتجاه مذبح أوثوناشي وبحيرة جونويكيه . كان المسير غير عادي ، فلم يكن الأستاذ مغرماً بالتريض قط .

في الليلة السابقة لأولى جولات هاكونيه طلب الأستاذ حلاقاً ، وفي دانكوين حلق ذقنه في اليوم السابع عشر أيضاً . في هاكونيه وقفت زوجته وراءه تسند رأسه .

« هل تصبغ الشعر ؟ » سأل الأستاذ الحلاق . كانت عيناه تتحولان بهدوء نحو بستان الأصيل . صبغ شعره قبل مغادرة طوكيو . ربما بدا من غير المناسب أن يصبغ الأستاذ شعره استعداداً للنزال ، لعله يستجمع قواه بعد انهيارها .

لقد اعتاد دائماً على تقصير شعره ، وكان هناك شيء طريف متنافر في الشعر الطويل المفروق بعناية والمصبوغ بالأسود الفاحم . كانت بشرة الأستاذ السمراء المصفرة ووجنتاه القويتان تبرز من خلال رغوة الصابون .

لم يتعاف وجهه رغم أنه لم يعد شاحباً ومتورماً كما في هاكونيه . قصدت غرفة الأستاذ فور وصولي . .

« نعم » قالها ساهماً كما هي عادته دائماً . « خضعت للفحوص في سان لوك قبل يوم من وصولي . كانت لدى الطبيب انيادا شكوكه » . قال أن قلبي ليس على ما يرام ، وهناك القليل من الماء فوق الغشاء الجانبي . ثم وجد الطبيب هنا في إيتو شيئاً ما في الشعيبات القصبية . أظن أنني مصاب بالرشح ».

« اوه ! » لم يكن لدي ما أقوله .

« لم أشف من اعتلالي الأول وها أنا أعاني من الثاني والثالث ، تبدو الأمراض الثلاثة وكأنها المجموع الكلي في اللحظة الراهنة ».

« أرجو ألا تخبر السيد أوتاكيه يا سيدي ». كان أناس من الرابطة ومن مراسلي الصحيفة بين الحضور .

« لم ؟ » كان الأستاذ حائراً .

« سوف يبدأ في خلق الصعوبات اذا عرف بالأمر ».

« ولهذا ينبغي ألا تخفى عنه الأسرار».

« خير لنا الا نخبره ». وافقت زوجة الأستاذ. « سوف نؤجل الأمر فقط . لا بد من الإياب الى هاكونيه ». لزم الأستاذ الصمت .

كان يتحدث بصراحة عن حالته لكل من يسأله .

أقلع عن التبغ وشراب المساء وكان مولعاً بهما . لم يخرج في هاكونيه البتة ، لكنه الآن يجبر نفسه على المسير وتناول وجبات شهية . ولعل صبغه لشعره كان مظهراً آخر من تصميمه .

سألته عن عزمه قضاء الشتاء في آتـامي أو إيتو أو العـودة إلى سان لـوك بعد انتهاء المباراة .

أجـاب وكأنـه يودعني سـراً : « هل سـأبقى على قيـد الحياة طـوال هـذه الفترة ، هذا هو السؤال » .

وقال أن ذهابه بعيداً إلى هذا الحد كان مسألة « غموض محض » .

(٣٢)

جرى تبديل الأبسطة في غرفة اللعب قبل ليلة من جولة إيتو الأولى عبقت الغرفة برائحة أبسطة جديدة حين دخلناها صبيحة الثامن عشر . ذهب سوغي المصنف من المرتبة الرابعة إلى نارايا بحثاً عن الرقعة الشهيرة التي استخدمت أثناء جولات هاكونيه . احتل الأستاذ وأوتاكيه مكانيهما وفتحا أوعية الأحجار . كانت الأحجار السوداء مغطاة بندى الصيف . ساعد الخدم والموظف المسؤول عن المكتب في تنظيفها .

في العاشرة والنصف جرى الافتتاح بالأبيض ١٠٠ .

« تسلّل » الأسود ٩٩ فوق مثلث الأبيض ، وانضم الأبيض ١٠٠ إلى القطع البيضاء المهددة . لقد تكونت آخر نقلة في هاكونيه من لعبة واحدة مختومة .

« حتى اذا أخذنا بعين الاعتبار تدهور صحتي وكون الأبيض ١٠٠ هي لعبتي الأخيرة قبل الذهاب إلى المشفى »، قال الأستاذ معلقاً على المباراة ثم تابع : « انها لعبة متسرعة كان حرياً بي ان أهمل التسلل وأضغط متقدماً إلى ٨ ـ s فأحمي بذلك المنطقة البيضاء من الجهة السفلى اليمنى . لا مراء في أن الأسود قد هدّد ، ولكن لم تكن هناك حاجة ماسة تدفعه لقطع خطي ، وحتى لو فعل لما كنت وقعت في خطر كبير . لو أنني استخدمت الأبيض ١٠٠ لحماية ساحتي بالذات لما كانت الرؤية على ما هي عليه الآن بحيث تتيح فرصة للتعطش إلى الدماء من جانب الأسود ».

بيد أن الأبيض ١٠٠ لم تكن لعبة سيئة ، ولا يستطيع المرء الجزم بأنها أضعفت موقع الأبيض . لقد افترض أوتاكيه بأن ردّ فعل الأستاذ على

« التسلل » سيكون ربط احجاره ، وكان الربط بالنسبة لنا معشر المشاهدين يبدو أمراً طبيعياً للغاية .

وقد يخال المرء أن الأبيض ١٠٠ لعبة مختومة عرف أوتاكيه منذ ثلاثة أشهر ما ستكون عليه . من المحتم الآن أن الأسود ١٠١ تخترق منطقة الأبيض متجهة صوب الجهة السفلى اليمنى . أما بالنسبة للهواة من أمثالنا فقد لاح أن أوتاكيه استخدم لعبة طبيعية ، بمجرد فراغ انتقل على خط « S » من الأسود ٨٧ . بيد أنه لم يكن قد لعب حين حل الظهر وحان وقت التوقف لطعام الغداء.

فوجئنا برؤية الاستاذ في الحديقة خلال الاستراحة . كانت أغصان البرقوق خلف شجرات الصنوبر تتألق في ضوء الشمس ، وكانت هناك أزهار ياتسودي بيضاء وصفراء أشبه بزهرة لؤلؤية الربيع الصغيرة . فوق شجرة الكاميليا أسفل غرفة أوتاكيه تفتحت زهرة واحدة ذات أوراق متغضنة . أخذ الأستاذ يتفرس فيها .

أثناء جولة ما بعد الظهر ألقت شجرة صنوبر ظلالها على الأبواب الورقية لغرفة اللعب . سقسق طائر أبيض عند خروجه من الشجرة . كانت هناك أسماك كارب ضخمة في البركة ، وأسماك نارايا في هاكونيه ذات أشكال متعددة . أما هذا فلونها رمادي طبيعي . الأستاذ نفسه بدا ضجراً.. كان أوتاكيه يستنفذ وقتاً طويلاً في اللعب ، أغلق الأستاذ عينيه ولعله استغرق في النوم .

« بقعة صعبة » تمتم ياسوناغا من المرتبة الرابعة . جلس متصالب الساقين ورفع احدى قدميه فوق الفخذ الثاني . كانت عيناه مغلقتين أيضاً .

ما وجه الصعوبة فيها ؟ بدأت أشك في أن أوتاكيه يتعمد الابتعاد عن اللعبة الواضحة المكشوفة ـ القفز إلى ١٣ ـ R. نفذ صبر الاداريين أيضاً . قال أوتاكيه في تعليقه على المباراة بأنه كان يناقش « السباحة » نحو ١٢ ـ R أو القفز الى ١٣ ـ R، كما ذكر الأستاذ في مراجعته للمباراة بأن الحكم على

المزايا النسبية لكل من اللعبتين كان صعباً . لكني وجدت غرابة كبيرة في أن يستغرق أوتاكيه ثلاث ساعات ونصف للعبة الأولى بعد الاستراحة الطويلة . أخذت الشمس تنحدر والأضواء تخبو حين اتخذ قراره أخيراً . لم يأخذ الأمر من الأستاذ سوى خمس دقائق ليلعب الأبيض ١٠٢ في الفراغ الذي قفز عليه الأسود . استغرق أوتاكيه اثنتين وأربعين دقيقة للأسود ١٠٥ . كانت هناك خمس لعبات فقط خلال جولة إيتو الأولى. أصبحت الأسود ١٠٥ هي اللعبة المختومة .

استغرق الأستاذ عشر دقائق واستغرق أوتاكيه أربع ساعات وأربع عشرة دقيقة ، أي أكثر من نصف الحصة المخصصة التي لا سابق لها .

غاب الحكمان أونودا واياموتو ، وكانا يشاركان في تصفيات الخريف ، وهناك شيء مظلم خفي في مباراة أوتاكيه هذه الأيام » هكذا سمعت اياموتو يهمس في هاكونيه .

« هل هناك مظلم وساطع في الـ « غو »؟ .

« هذه حقيقة . اللعبة هي التي تحدد درجة العتمة . يظهر عند أوتاكيه شيء مقبض بعيد عن الفرح . شيء مظلم دامس . لا علاقة للمظلم والساطع بالربح والخسارة . ولست أقصد القول أن مباراة أوتاكيه أسوأ من أي منها ».

كان سجل أوتاكيه مضطرباً مثيراً للقلق . لقد خسر مبارياته الثمان في تصفيات الربيع . لكنه بعد ذلك فاز بكل المباريات التي خاضها في التصفيات الخاصة التي رعتها صحيفة نيشينيشي لاختيار آخر منافسي الأستاذ .

لم يخطر لي أن مباراة الأسود ضد الأستاذ ستكون مبهجة على وجه خاص . كانت تنطوي على عنصر عدواني ما . يكتنفها شيء لاح أنه يشق طريقه مندفعاً من غياهب الأعماق مثل صرفه مخنوقة . لقد كانت بمثابة قوة مركزة على مضمار التناحر ، وكان عبثاً أن يتطلع المرء باحثاً عن تدفق

طبيعي . كانت النقلات الافتتـاحية ثقيلة وأعقبهـا شكل من أشكـال التآكـل المزمن المتصلب .

لقد سمعت أيضاً بوجود نوعية من الـلاعبين ، أولئـك البرمـين بأنفسهم على الدوام وأولئك الواثقـين على الـدوام . ربما كـان أوتاكيـه من الفئة الأولى و وو من الثـانية . لم يكن بـوسع أوتـاكيه ، النـوع البرم ، أن يسمـح لنفسـه برفاهية لعب هينّ فروسي ، ليس في ما أسماه بنفسه مباراة حساسـة وختاميـة وليس حين تبقى المحصلة محاطة بالشكوك .

(٣٣)

بعد جولة إيتو الأولى نشب نـزاع هام جعـل تاريـخ الجولـة القادمـة غير مؤكد .

وكما حدث في هاكونيه طلب الأستاذ تعـديلاً في القـواعد بسبب اعتـلال صحتـه ، ورفض أوتاكيـه منح المـوافقة . بـدا أكثر عنـاداً عما كـان عليـه في هاكونيه . ولعل هاكونيه أعطته كل التعديلات التي يستطيع احتمالها .

لم أكن في مـوقع يسمـح لي بـالكتـابـة عن المجـريـات الـداخليـة ولست أتذكرها كما ينبغي ، لكنها كانت تتصل بالجدول الزمني .

ولقد اتفق على استراحة لمدة أربعة أيام وأجيز الاتفاق في هاكونيه . كـان طبيعياً أن تمنح الاستراحات لتخفيف التوتر الناتج عن الجـولة . أمـا بالنسبـة للأستاذ ـ المحجوز في نارايا وفقاً لنظام « ختم اللاعبين » ـ فقد كـان لها تـأثير عكسي في زيادة التوتر .

وحين أصبح شرط الأستاذ جـدياً سـرت بعض الأقاويـل حول اختصـار الاستراحات . ولقد رفض أوتاكيه بعناد أياً من هذه الاقتراحات . كان تنازله الوحيد ينحصر في تأجيل جولة هاكونيه الأخيرة يوماً واحداً . وكـانت الجولـة قـد اقتصرت عـلى نقلة الأستـاذ ، الأبيض ١٠٠ ، ورغم الالتـزام بـالجـدول الـزمني نفسه بصـورة عامـة فقد رفض خـطة استمرار الجـولات من العاشـرة صباحاً وحتى الرابعة بعد الظهر .

ولأن حالة قلب الأستاذ كانت حالة مـزمنة ومـا من وسيلة لمعرفـة موعـد تحسنها ، فقد سمح الطبيب انيادا من مشفى سان لوك بانتقال البعثة إلى ايتـو بعد رفض بات ، وطلب انهاء ا المبـاراة خلال شهـر واحد اذا أمكن ذلـك .

كان جفنا الأستاذ متورمين قليلاً في الجولة الأولى .

أخذ الاهتمام ينصب على تفادي انتكاس الأستاذ من جديد ، وعلى الأمل بتحرره من ضغوط المنافسة بأسرع وقت ممكن ، أرادت الصحيفة أن تصل بهذه المباراة المحبوبة من القراء إلى نتيجة ختامية بهذه الطريقة أو تلك . سيكون التأجيل خطيراً ، واختصار الاستراحات هو الحل الوحيد . لكن أوتاكيه لم يكن مستعداً للمساومة .

« لقد كنا أصدق منذ زمن بعيد . دعوني اتحدث اليه »، قال موراشيما من المرتبة الخامسة .

وفد أوتاكيه وموراشيما إلى طوكيو من منطقة أوساكا منذ يفاعتهما . أصبح موراشيما تلميذ الأستاذ بينما تتلمذ أوتاكيه على يد سوزوكي من المرتبة السابعة ، ولا شك في أن موراشيما أخلد إلى الرأي المتفائل بأنه رجاءه الخاص سيكون مؤثراً بالنظر إلى صداقتهما القديمة وعلاقاتهما في عالم الـ « غو ». ولقد ذهب به الظن بعيداً إلى درجة اعلام أوتاكيه بأوجاع الأستاذ فكانت النتيجة تصلب أوتاكيه . ذهب أوتاكيه إلى الاداريين . انهم اذاً يخفون عنه حالة الأستاذ الصحية ويريدون منه خوض معركة مع معتل عاجز . . .

ولا ريب في أن الغضب عصف بأوتاكيه واعتبر مكوث موراشيما تلميذ الأستاذ في النزل ومشاهدته للأستاذ وصمة عار في جبين المباراة . حين وصل مايدا من المرتبة السادسة ، تلميذ الأستاذ وعديل أوتاكيه ، إلى هاكونيه تحاشى غرفة الأستاذ وأقام في نزل آخر . ولعل أوتاكيه لم يكن يحتمل فكرة تدخل الصداقة والعاطفة في نزاع حول تعاقد جليل غير قابل للفسخ .

ولكن قد تكون فكرة تحدي الأستاذ الطاعن في السن هي التي أزعجته ثانية أكثر من غيرها، وحقيقة كون الأستاذ هو خصمه جعلت موقفه أكثر صعوبة .

تدهور الحال من سيء إلى اسوأ . بدأ أوتاكيه يتحدث عن إبطال المباراة . وكما حدث في هاكونيه وصلت السيدة أوتاكيه وطفلها من هيراتسوكا

وحاولت تهدئته . استدعي رجل يدعى توغو يمارس فن العلاج بتدليك الراحتين . كان معروفاً في أوساط لاعبي الـ «غو» وأوصى به أوتاكيه لعدد من الزملاء . كان اعجاب أوتاكيه بعلاج توغو لا حدود له . كان أيضاً يحترم نصح توغو في المسائل الشخصية . كانت سريرة توغو تنطوي على شيء من الزهد الديني . أما أوتاكيه الذي يقرأ « سوترا اللوتس » كل صباح فهو معروف بنهج في الايمان المطلق بأي شخص يرى أنه ملزم باحترامه ، وكان رجلاً ذا حس عميق بالالتزام .

« سوف يصغي إلى توغو » قال أحد الاداريين . « يبدو أن توغو يؤمن بمواصلة المباراة »

قال أوتاكيه أن هذه ستكون فرصتي لتجريب قدرة توغو العلاجية . كان اقتراحاً نزيهاً وودياً . ذهبت إلى غرفة أوتاكيه . كان توغو يتحسس هنا وهناك مستخدماً راحتيه .

« لست تعاني من أي شيء » قال على الفور . « أنت رقيق ، لكنك ستعيش حياة طويلة ». لكنه واصل من جديد وضع يديه فوق صدري .

لمست صدري بيدي ، ولاحظت بدهشة أن الكيمونو المطوي على الجانب الأيمن كان دافئاً . قرّب يديه دون أن يلمسني ، كان الكيمونو دافئاً من الجهة اليمنى فقط وبارداً من اليسرى . شرح لي أن الدفء ناتج عن بعض العناصر السامة . لم أكن قد شعرت من قبل بشيء غير طبيعي في منطقة الرئتين ، ولم تكشف الصور الشعاعية أي خلل غير عادي . لكني بين الحين والآخر كنت اشعر بضغط ما في الجنب الأيمن ، ولعلي بالتالي كنت أعاني من توعك طفيف . ومع تقديري لفعالية طرائق توغو أفزعني مرور الدفء عبر بطانة ثقيلة مثل هذه .

قال توغو أن مصير أوتاكيه متعلق بالمباراة ، وخسارتها ستجعله موضوعاً لسخرية العالم .

لم يكن في وسع الأستاذ القيام بشيء آخر غير انتظار نتيجة المفاوضات . ولأن احداً لم يعلمه بأدق النقاط فقد كان على الأرجح يجهل تفكير اوتاكيه

بإبطال المباراة . أخذ صبره ينفذ والأيام تمرّ في تتابع عقيم . مضى إلى فندق كوانا لتغيير الجو ودعاني لمرافقته في اليوم التالي اصطحبت أوتاكيه بدوري .

ورغم تهديده بإبطال المباراة فقد ظل أوتاكيه مغلقاً على نفسه في النـزل ، وكنت على ثقة كافية بأنه سرعان ما سيقع في اغراء المصالحة . في اليوم الثالث والعشرين تمّ التوصل إلى تسوية : سوف يستأنف اللعب كل ثلاثة أيام وتنتهي الجولات في الرابعة بعد الظهر . تمّ بلوغ التسوية في اليوم الخامس بعد جولة إيتو الأولى .

وفي هاكونيه ـ حين اختصرت استراحة الأربعة أيام إلى ثلاثة . قال اوتاكيه أنه لم يكن يأخذ راحة كافية في ثلاثة أيام ، وأن جولات الساعتين والنصف أمد قصير للغاية . لم يستطع ايجاد الوقت المناسب . واختصرت الأيام الثلاثة إلى يومين . . .

(٣٤)

العقبة الأولى تمّ تجاوزها وبقيت الثانية .
فور سماعه بالتسوية قال الأستاذ : « سوف نبدأ غداً » .
لكن أوتاكيه رغب في الاستراحة ليوم الغد والبدء باليوم الذي يليه .

لم يقتنع الأستاذ بالتأجيل فقد كان مضطراً للبدء مباشرة . بدت المسألة بالغة البساطة بالنسبة له . لكن أحاسيس أوتاكيه كانت مضطربة فاحتاج إلى الراحة وتغيير المزاج قبل مواصلة اللعب

لقد ارهقته أيام الشاحنات الطويلة . كان الرجلان يتسمان بطبيعتين مختلفتين تماماً . فوق ذلك ، كان أوتاكيه يعاني من سوء هضم عصبي وأصيب الطفل بالرشح في النزل وارتفعت حرارته إلى درجة الحمى . كان اخلاصه لأسرته يتركه نهباً للوساوس والهموم ، ولم يكن بوسعه مواصلة اللعب في اليوم التالي .

لكن ابقاء الأستاذ منتظراً كل هذا الوقت الطويل يعدّ تدبيراً ادارياً بالغ السوء . لم يستطع الاداريون المتحرقون لاستئناف النزال أن يفهموا كيف تتطلب مصلحة أوتاكيه انتظار يوم آخر . كانت كلمة « غداً » أمراً محتوماً مطلقاً بالنسبة للاداريين . ولأن فارق المرتبة يؤخذ بعين الاعتبار أيضاً فقد حاولوا الالحاح على اقناع أوتاكيه . وتضايق أوتاكيه الذي كان يعاني أساساً من حالة توتر شديد . وقال بأنه سيسعى إلى إبطال المباراة .

جلس ياواتا عضو الرابطة وغوي ممثل صحيفة نيشينيشي في غرفة صغيرة عليا صامتين ومرهقين كما يلوح لكل ناظر . بدا انهما على حافة الاستسلام . ولأني لم أكن رجل بلاغة أو اقناع فقد جلست معهما بعد العشاء .

اتجهت الخادمة نحوي وقالت : « يقول السيد أوتاكيه أنه راغب في التحدث اليك اذا سمحت يا سيد اوراغامي . انه ينتظرك في الغرفة الثانية ».

« يتحدث معي ؟ » سمّرتني المفاجأة . نظر الاثنان إليّ . قادتني الخادمة إلى غرفة واسعة كان أوتاكيه ينتظر فيها وحيداً . كانت الغرفة رطبة رغم وجود مجمرة .

« انني شديد الأسف لازعاجك . لقد قدّمت لنا العون الكثير خلال الأشهر السابقة . لكني قررت انه ليس أمامي من مخرج سوى إبطال المباراة ». كان كلامه متقطعاً متسارعاً . « لا أستطيع الاستمرار والأشياء على ما هي عليه ».

« أوه ؟ ».
« كما أرغب أيضاً بالاعتذار ».

كنت مجرد مراسل يغطي النزال ، ويصعب أن أبدو بمثابة من يحتاج أوتاكيه للاعتذار منه . وأن أكون أول من يتلقى اعتذاراً رسمياً أمر يدل على الاحترام الذي نتبادله ، لقد تغير موقعي . لم أعد أستطيع السماح ببقاء الأمور كما هي .

كنت في السابق مراقباً سلبياً لما يثور من جدالات في هاكونيه وبعدها . لم تكن موضع اهتمامي ولم أبد أي رأي فيها . أنه الآن أيضاً لا يسألني النصح . كان يعلمني بقراره . وحين جلست معه وسمعت محنه ومصاعبه شعرت للمرة الأولى بواجبي في الافصاح عن وجهة نظري ، وأنه يتوجب علي عرض خدماتي كوسيط .

ولقد أسأت القول. قلت أنه كمتحدٍ في آخر مباريات الأستاذ كان يخوض معركة فردية ـ وأنه أيضاً يخوض معركة أوسع وأكبر. انه يمثل بزوغ يوم جديد. تيارات التاريخ هي التي تدفعه وتحفزه . لقد خاض تصفيات عام كامل ليفرض اسمه كآخر متحدٍ للأستاذ . كان كوباماتسو ومايدا آخر الفائزين

بالتصفيات السابقة بين لاعبي المرتبة السادسة وانضم اليهما سوزوكي وكاتو وأوتاكيه المصنف سابعاً في تصفيات يقابل فيها اللاعب كافة اللاعبين الآخرين . وهزم أوتاكيه المنافسين الخمسة ، هزم اثنين من أساتذته هما سوزوكي وكوبوماتسو . وقد قيل أن سوزوكي سيشعر بأسى مرير طيلة حياته . في يفاعته فاز بأكثر مما خسر من مباريات كأسود ضد أبيض الأستاذ . ولقد تحاشى الأستاذ المرحلة التالية حيث يتبادلان الألوان (٣٥).

لعل أوتاكيه ، بعيداً عن مشاعره ازاء معلّمه القديم ، كان يرغب في منح سوزوكي فرصته الأخيرة أمام الأستاذ . لكنه قاد معلّمه إلى الهزيمة . وحين واجه كوبوماتسو في المباراة الحاسمة ـ وكلاهما يملك أربعة انتصارات ـ كان من جديد يواجه معلماً . ولعل المرء يقول بالنتيجة أن أوتاكيه يلعب بدلاً عن معلّميه في معركة ضد الأستاذ . ولا ريب في أن أوتاكيه كان أفضل من سوزوكي وكوبوماتسو في تمثيله للقوى الفعالة . وكان ممكناً لصديقه ومنافسه الذي لا يجارى ، وو المصنف سادساً ، أن يحتل موقع الممثل المناسب ، لكن وو جرّب قبل خمس سنوات افتتاحاً جذرياً ضد الأستاذ وخسر . ورغم فوز وو بلقب المحترف فقد كان آنذاك في المرتبة الخامسة وهي مرتبة لا تكاد تكفي لمواجهة الأستاذ دون خسائر وإعاقات ؛ وبذلك كانت المباراة ذات نظام مختلف عن آخر مباريات الأستاذ . قبل نحو ثلاث عشرة سنة وقبل عام من مباراته مع وو ، واجه الأستاذ متحديه كاريغانيه المصنف سابعاً . كان النزال في واقع الأمر يدور بين رابطة الـ « غو » والمنافس كيزيشا ، ورغم أن كاريغانيه كان بين منافسي الأستاذ فقد ظلّ هو الضحية الخاسرة على مدى السنين . فاز الأستاذ بنصر آخر ، وهذا كل شيء . أما الآن فان « الاستاذ الذي لا يقهر » يراهن على لقبه للمرة الأخيرة . كانت للمباراة أهمية خاصة تتجاوز بكثير تلك المباريات التي يكون طرفها الثاني كاريغانيه أو وو . لم يكن الأمر يتصل بمتاعب وراثة اللقب التي ستنشأ في حال فوز أوتاكيه ، لكن مباراة الاعتزال تعني نهاية حقبة ومدّ جسر إلى حقبة أخرى . ستسود عالم الـ « غو » حيوية جديدة . وإبطال المباراة قبل إتمامها يعني وقف تدفق التاريخ . المسؤولية ثقيلة هائلة . هل بمقدور أوتاكيه السماح للمشاعر

الشخصية والظروف بالتدخل والسيطرة ؟ أمام أوتاكيه تمتد خمس وثلاثون سنة قبل بلوغ سنّ الأستاذ ، أكثر بخمس سنين من مجموع التقويم الشرقي لسنوات عمره . لقد رعته الرابطة في زمن الرخاء ، وكانت مصاعب الأستاذ في شبابه تنتمي إلى عالم مختلف حمل الأستاذ العبء الأساسي منذ بدايات الـ « غو » المعاصر في حقبة ميجي المبكرة وحتى نهضته الراهنة وازدهاره . ألم يكن المسار الطبيعي لخلفائه أن يشاهدوا هذه المباراة التي تختم مسيرته الطويلة وهي تبلغ نهاية مرضية ؟ في هاكونيه تصرّف الأستاذ بطريقة تعسفية بعض الشيء بسبب مرضه ، لكنه ما يزال رجلاً عجوزاً يتحمل وطأة الألم ويواصل القتال . لم يكن قد شفي بعد ، لكنه صبغ شعره باللون الأسود ليواصل المعركة هنا في إيتو . وسيثور شكٌ ضئيل بأنه يراهن بحياته ذاتها على هذه المباراة . وإذا كان منافسه الشاب يطالب بإبطال المباراة فان العالم سيتعاطف مع الأستاذ ، ولا مناص من خضوع أوتاكيه لانتقادات حادة . وحتى لو كان أوتاكيه في حالة جيدة فهو لن يتوقع شيئاً أفضل من سلسلة تأكيدات وإنكارات لا نهاية لها ، ونزالاً في الطعن المقذع على الأرجح . لم يكن ينتظر من العالم أن يعترف بالحقائق . هذه المباراة الأخيرة ستكون تاريخاً ، والمطالب بالإبطال القانوني سيكون بدوره تاريخاً . إن أشد النقاط أهمية هي تولّي أوتاكيه مسؤولية حقبةناشئة بأسرها . واذا انتهت المباراة الآن فالحدس بنتيجتها النهائية سيكون مسألة اشاعات صاخبة مقيتة . هل من حق خليفة شاب أن يدمّر آخر مباريات الأستاذ ؟ .

تحدثت بتردد وبصورة غير منتظمة . لكني أعربت عن عدد من النقاط التي وجدتها هامة . لزم أوتاكيه الصمت . لم يوافق على مواصلة المباراة . لقد كانت له أسبابه بطبيعة الحال ، والتنازلات المتكررة أوصلته إلى نقطة الانهيار . لقد قدّم لتوه تنازلاً جديداً وتلقى بالنتيجة أمراً بمواصلة اللعب غداً . لم يظهر أحد أدنى اهتمام بمشاعره . ليس في وسعه اللعب بارتياح في هذه الظروف ، والامتناع عن اللعب هو الشيء الوحيد الذي يستجيب لضميره .

« هل تواصل اللعب اذا أفلحنا في تأجيله ليوم واحد ؟ » .

« أظن ذلك ، ولكن لا فائدة في الواقع »

« لكنك ستلعب نهار بعد غد »؟ .

دفعته إلى النطق باجابة واضحة . لم أقل أني سأتحدث الى الأستاذ . أما هو فواصل اعتذاره .

عدت إلى غرفة الاداريين . كان غوي يضطجع متكئاً برأسه على ذراعه .

« يخال لي أنه رفض اللعب »

«هذا ما أراد أن يقوله». إحدودب ظهر ياواتا العريض على المنضدة.

« ولكن يبدو أنه سيواصل اللعب اذا أجّلناه يوماً واحداً . هل أطلب ذلك من الأستاذ ؟ هل تمنحوني الموافقة ؟ ».

ذهبت إلى غرفة الأستاذ . « الحق أني جئت اسألك خدمة يا سيدي . أعرف انني لست الشخص الجدير بهذا الطلب ، وقد تظن فيّ قمة سافرة ، ولكني أقول : هل بمقدورنا تأجيل جولتنا القادمة إلى ما بعد الغد ؟ يقول السيد أوتاكيه أنه لا يحتاج لأكثر من يوم واحد . طفله يعاني من ارتفاع الحمى ، وهو متضايق للغاية . انه أيضاً يعاني من اضطرابات هضمية كما أعتقد ».

أصغى الأستاذ وقد احتل وجهه تعبير ساهم . لكن أجابته كانت فورية :« هذا أمر مقبول كلياً . سوف نمتثل لرغبته ».

أجفلت ، وشعرت أن الدموع تطفر من عيني .

لقد تجاوزنا المشكلة بسهولة بالغة . وجدت صعوبة في المغادرة على الفور . مكثت بعض الوقت أتجاذب الحديث مع زوجة الأستاذ . لم يكن لدى الأستاذ نفسه ما يقوله غير ذلك ، لا حول التأجيل ولا حول منافسه . قد يبدو تأجيل اليوم الواحد تنازلاً طفيفاً كافياً . لقد انتظر الأستاذ زمناً طويلاً ، وليس أمراً سهلاً أن يبلغ اللاعب منتصف شوط المباراة ولا تتبقى له سوى جولة واحدة ثم تسقط كافة خططه في الفوضى والاضطراب . الحق أنها كانت مسألة جسيمة جعلت الاداريين يمتنعون عن مقاربة الأستاذ . لقد شعر

دون شك ان اقتراحي قد استنفذ كل ما لدي من حلول . وقد تركت موافقته الهادئة الفورية أثراً عميقاً في نفسي .

ذهبت إلى الاداريين ثم إلى غرفة أوتاكيه .

« الأستاذ يوافق على اللعب نهار بعد غد » .

بدأ أوتاكيه مندهشاً .

« لقد تنازل عن نقطة هذه المرة . لعلك تتنازل عن نقطة أخرى اذا طرأ أمر آخر ؟ » .

شكرتني السيدة أوتاكيه ، التي تجالس الصبي . كانت الغرفة تعاني من فوضى كبيرة .

(٣٥)

استؤنف اللعب في اليوم الموعود ـ ٢٥ تشرين الثاني ، بعد أسبوع كامل من الجولة السابقة . وصل أونودا وإيواموتو ، المحكمان اللذان فرغا من مشاغل تصفيات الخريف .

فرشت أرائك من الدمق القرمزي ووسائد أرجوانية ، وبدا مقرّ الأستاذ يليق بكاهن . والحق أن خط الهوينمبو ـ أساتذة الـ « غو » ـ كان إكليركياً بدءاً من مؤسسة سانسا الذي كان أسمه الإكليركي نسيكاى .

أوضح ياواتا عضو الرابطة أن الأستاذ تلقى درجته الإكليركية فعلياً واستحق الإسم الإكليركي نيشيون » وامتلك بذلك أرديته الإكليركية . على الجدار الذي يعلو رقعة الـ « غو » انتصبت كتابة محفورة ضمن إطار صنعها هابو ، وتقول : « ليست حياتي سوى شظية في مشهد طبيعي » . أخذت أحدق في الشخصيات الصينية المتكئة إلى الجهة اليمنى ، وتذكرت ما قرأته في الصحيفة ذات مرة من أن الطبيب تاكاواسوناي[٣٦]ذاته ما يزال يعاني آلام مرض شديد . على جدار آخر علقت احصائية ميشيما كي[٣٧]الذي استخدم الاسم المستعار شوشو ـ لمواقع إيتو الإثني عشر . وعلى لفيفة بردي معلقة في الغرفة الثانية ذات الأبسطة الثمانية كتبت قصيدة باللغة الصينية لراهب متسول جوال .

جثمت بالقرب من الأستاذ مجمرة بيضوية ضخمة من خشب البوليفين العطر . كان الأستاذ يضع وراءه ماء غالياً فوق مجمرة ذات شكل مستطيل بسبب خشيته من التعرض للبرد . لبّى رغبة أوتاكيه ولفّ نفسه بلفاع ، ثم

غـرق عميقاً في عبـاءة خارجيـة ذات خطوط مـطرزة كخط دفـاع أخـير ضـد البرد . قال بأنه يعاني من حمى طفيفة .

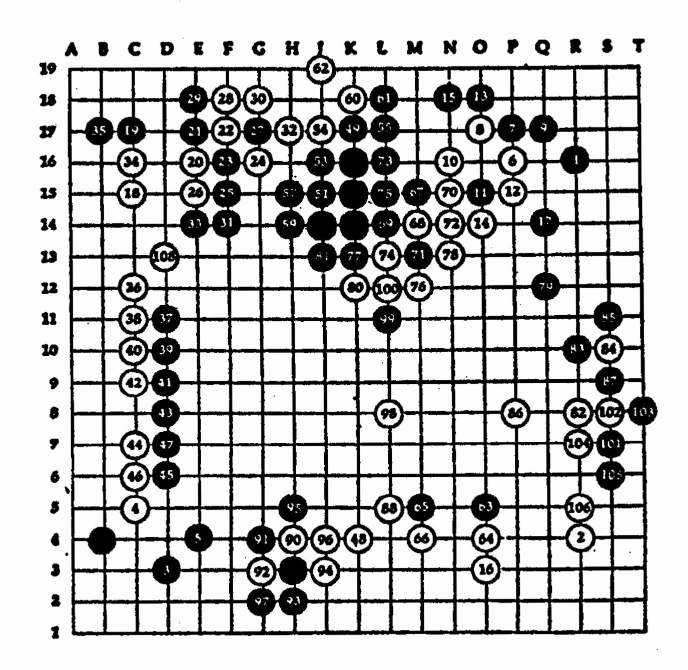
فتحت اللعبة المختومة ـ الأسود ١٠٥ . استغرق الأستاذ دقيقتـين ليلعب الأبيض ١٠٦ ، وبدأ أوتاكيـه فترة أخـرى من التفكير العميق ، « أمـر غريب حقاً » تمتم مخاطباً نفسه وكأنه في غيبوبة . « الـوقت يداهمني ويـداهم الرجـل العظيم . مرّت أربعون ساعة . غريب حقاً . لا شيء يشبه ما يجري الآن في تاريخ اللعبة . ما تزال تضيع الوقت هنا أليس كذلك ؟ كان عليك أن تلعب خلال دقيقة لا أكثر » .

غرّد البلبل وتوالت صيحاته تحت سماء غائمة . ذهبت إلى الشرفة ورأيت شجيرة أزاليا قريبة من البركة وقد أزهرت وأرسلت برعمين مبكرين . اقترب طائر الذعرة الـرمادي من الشـرفة . وفي المـدى البعيد تنـاهى صوت خـافت لمحرك مضخة ترفع الماء من النبع الحار .

استغـرق أوتـاكيـه سـاعـة وثـلاث دقـائق ليلعب الأسـود ١٠٧ . كـانت الأسـود ١٠١ ـ النقلة التي تغزو تشكيلة الأبيض في الـزاوية اليمنى السفليـة ـ نقلة هجومية تفترض ردّ فعل مباشر وهي جديرة بأربع عشـرة أو خمس عشرة نقطة ، وكانت الأسود ١٠٧ جديرة بعشرين نقطة رغم انها ليست بحاجة إلى رد مباشر في الحالتين بدا للمشاهدين أن الأسود يعزز قواه بربح معقول ، وفي الحالتين كان الأسود هو المتفوق في تنظيم النقلات .

انتقـل الهجـوم الآن إلى الأبيض ، اكتسى وجـه الأستـاذ بتعبـير صلب مـركز ، وأغلق عينيـه وتنفس بعمق . لقد لمـع وجهه ببـريق نحـاسي خـلال الجـولـة . ارتعشت وجنتـاه ، لم يكن يلوح عليـه أنـه يصغي للريـح أو لطبول[٣٨]قوافل الحجاج العابرين . لكنه استغرق سبعاً وأربعين دقيقة ليلعب النقلة التالية . تلك أطول فترات تفكير وخلال جولات إيتو .

استغرق أوتاكيه ساعتـين وثلاثـاً وأربعين دقيقـة ليلعب الأسود ١٠٩ التي بـاتت هي النقلة المختومـة . تقدمت المبـاراة بمقدار أربـع نقـلات . استنفـذ



أوتاكيه ثـلاث ساعـات وستاً وأربعـين دقيقة واستنفـذ الأستاذ تسعـاً وأربعين دقيقة فقط .

« قـد يحدث أي شيء الآن » قـال أوتاكيـه بما يشبـه المزاح وهـو يغـادر مستعداً لاستراحة الظهيرة . « انه زمن قاتل » .

كان للأبيض ١٠٨ هدف مزدوج في تهديد الأسود بزاويته اليسرى العليـا وقطع معاقله الداخلية ، ثم الدفاع عن تشكيلة الأبيض في الجهة اليسرى من الرقعة . كانت ابتكاراً يحمل طابع البهجة .

قـال وو في تعليقه عـلى هذه النقلة : « كـانت الأبيض ١٠٨ نقلة بـالغـة الصعـوبة لقـد انتظر المرء طويـلاً وباستمتـاع غير قليـل ليرى المـوقـع الـذي ستحتله » .

(٣٦)

في صبيحة الجولة التالية وبعد توقف دام يومين اشتكى الأستاذ وأوتاكيه سوياً من عسر الهضم . قال أوتاكيه أن الألم جعله يستيقظ في الخامسة . وما كادت اللعبة المختومة الأسود ١٠٩ تفتح حتى استأذن أوتاكيه رافعاً رداءه الخارجي وهو يغادر .

« بهذه السرعة ؟ » هتف مندهشاً حين عاد ليرى نقلة الأبيض ١١٠ قد لعبت .

« كانت وقاحة من جانبي أن لا أنتظرك » .

أخذ أوتاكيه يصيخ السمع للرياح وقد عقد ذراعيه . « أنسمّيها رياحاً شتائية هوجاء أم أن الوقت مبكر عليها ؟ ربما كان بمقدورنا ذلك في الثامن والعشرين من تشرين الثاني » .

هدأت الرياح الرطبة بدءاً من ساعات الصباح ، لكن هبات عابرة ما تزال تثور . حملق الأستاذ في الجهة اليسرى العليا مهدداً بالأبيض ١٠٨ ، لكن أوتاكيه دافع بالأسود ١٠٩ و ١١١ وأنقذ أحجاره . صفوف الأسود في الزاوية واجهت بعض المصاعب متأثرة بهجوم الأبيض . هل سيموت الحجر الأسود ، وينشأ موقف الـ « كو »[٣٩]؟ كانت الاحتمالات متنوعة كمسألة في كتاب خاص باللعبة .

« لا بد أن أُفعل شيئاً في تلك الزاوية » قال أوتاكيه حين فتحت الأسود ١٠٩ « انه ليس قرضاً طويل الأجل ، والفائدة عالية » . ثم تقدم لحل اللغز الذي طرحته الزاوية ولإحياء السكينة .

المدهش أن المباراة تقدمت اليوم بمقدار خمس نقلات في الحادية عشرة

صباحاً . لم تكن الأسود ١١٥ نقلة يسيرة على أوتاكيه ، لقد أزف أوان حشد كافة القوات في ساحة الهجوم .

خلال انتظار لعبة الأسود أخذ الأستاذ يتحدث عن مطاعم سمك الأنقليس في أتامي وجوباكو وساواشا وغيرها . روى أنه قدم إلى أتامي في الأيام التي لم يكن فيها القطار يتجاوز يوكوها . بقية الرحلة كانت تتم على كراسي المحفات ، مع توقف لليلة واحدة في اوداوارا .

« كنت في الثالثة عشرة كما أظن . قبل أكثر من خمسين سنة » .

« منذ عصور وعصور » قال أوتاكيه مبتسماً . « كان والدي قد ولد لتوه آنذاك » اشتكى من آلام المعدة وغادر الرقعة مرة أو مرتين وهو يمعن التفكير في نقلته التالية .

« انه يأخذ ما يشاء من الوقت » قال الأستاذ خلال واحدة من فترات تغيبه . « ألم تمض أكثر من ساعة حتى الآن ؟ » .

« سرعان ما تصبح ساعة ونصف » قالت الفتاة التي تقوم بالتسجيل . تعالت صافرة الظهيرة . « دقيقة واحدة بالضبط ، قالت ناظرة إلى ساعة التوقيت التي تفخر بها كثيراً . « إنها تبدأ في التناقص عندما تبلغ الثانية الخامسة والخمسين .

وراء الرقعة دهن أوتاكيه جبهته بمرهم السالوميثيل ثم مطّ مفاصل أصابعه ، كان يحتفظ بقطرة عين اسمها « ابتسامة » بالقرب منه . لم يكن يبدو مستعداً للعب قبل استراحة الظهر ، لكن جلجلة الأحجار الناعمة تعالت في الدقيقة الثامنة بعد الساعة .

تجشأ الأستاذ . كان يتكيء على وسادة . ارتفع بجسمه إلى الأعلى وانسحب فكه إلى الداخل ، وطافت عيناه في الرقعة وكأنه اختراق ثغرة في الرقعة . كان حاجباه كثيفين وكانت الخطوط العميقة بين رموشه وعينيه تطلق صلابة نظرته العميقة .

الأبيض يحتاج الآن إلى الدفاع عن مناطقه الداخلية ضد تهديد جلي

صنعته نقلة الأسود ١١٥ ، حانت استراحة الظهيرة .

جلس أوتاكيه إلى الرقعة بعد الغداء ، وسرعان ما مضى إلى غرفته ليحضر علاجاً للحنجرة . فاحت في الغرفة رائحة نفاذة . قطر عينيه ووضع مدفئات الأيدي في أكمامه .

استغرقت الأبيض ١١٦ اثنتين وعشرين دقيقة . توالت النقلات حتى الأبيض ١٢٠ بتواتر سريع . كان النسق النموذجي يقتضي من الأستاذ أن يسارع إلى احتلال مركز خلفي مستخدماً الأبيض ١٢٠ ، لكنه اختار المانع الصلب رغم أن النتيجة قد تسفر عن تشكيلة مثلث غير راسخ . خيّم جو من التوتر فالمكاشفة الحاسمة باتت وشيكة .

لو أنه أخلى الساحة لكان قد تنازل عن نقطة أو نقطتين ، لكنه لم يكن قادراً على تقديم هذا التنازل الصغير في هذه المباراة المحكمة . استغرق دقيقة واحدة فقط للعبة قد تعني ابراز الفارق الدقيق بين النصر والهزيمة وقد نزلت على أوتاكيه كالفولاذ البارد . ألم يكن الأستاذ يحصي نقاطه الآن ؟ كان يعدّها برجفات سريعة وقصيرة من رأسه . كان الرقم يضغط دون هوادة .

بفارق نقطة واحدة قد يفوز المرء أو يخسر . كان الأبيض يتشبث بعناد بمجرّد كسب نقطتين ـ وكان على الأسود عندها أن يندفع بثبات إلى الأمام . ارتبك أوتاكيه ، وللمرة الأولى جحظ عرق أزرق على الوجه المستدير الطفولي . كان صوت مروحته خشناً استفزازياً .

حتى الأستاذ ، بحساسيته البالغة أمام البرد ، كان يروّح بمروحته بعصبية . لم أستطع النظر إلى أي منهما . أطلق الأستاذ أنفاسه المحبوسة أخيراً ، وغرق في وضع اكثر راحة .

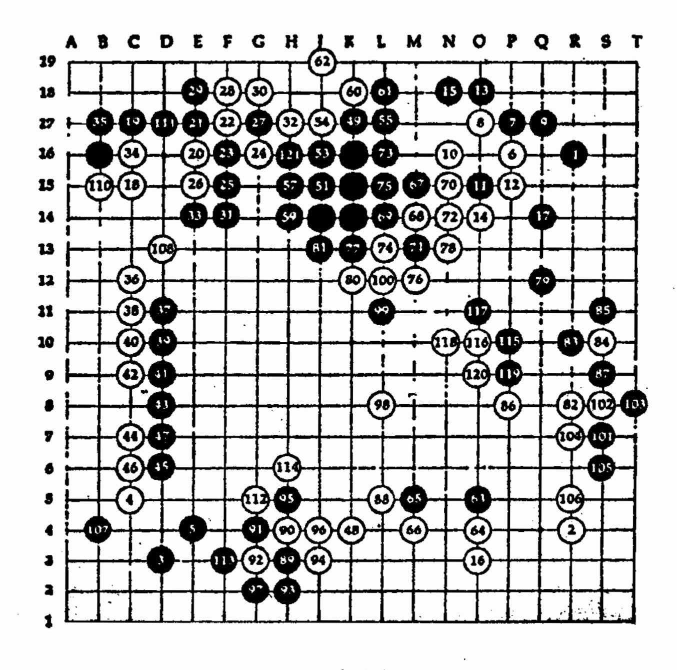
« لقد بدأت التفكير ولا أرى نهاية » قال أوتاكيه وقد حان دوره في اللعب . « انني اشعر بالحرارة . اعذرني » خلع عباءته . حفز أوتاكيه الأستاذ فسحب عنق الكيمونو بيديه ودفع رأسه إلى الأمام . كانت الحركة تنطوي على شيء من التهكم .

« الجو حار ، الجو حار . .ها أنذا أتأخر من جديد . ليتني لم أفعل » بدأ أوتاكيه وكأنه يصارع ضد باعث طائش . « لدي إحساس بأني سأرتكب خطيئة ، سأفسد كل ما عملته » .

بعد تأمل في المسألة دام ساعة وأربعين دقيقة . ختم الأسود ١٢١ في الثالثة والدقيقة الثالثة والأربعين بعد الظهر .

وخلال احدى وعشرين نقلة شهدتها جولات إيتو ، من الأسود ١٠١ إلى الأسود ١٢١ ، استنفذ أوتاكيه اثنتي عشرة ساعة وثمان وأربعين دقيقة . أما الأستاذ فاستنفذ ساعة واحدة وسبعاً وثلاثين دقيقة فقط . لو كانت مباراة عادية لاستغرق أوتاكيه حصته من الزمن في احدى عشرة نقلة فقط .

وبمقدور المرء أن يرى في التباين افتراقاً في القدرة الروحية ، وشيئاً من الاختلاف الفيزيولوجي أيضاً . كان معروفاً عن الأستاذ أنه بدوره لاعب متروٍ حذر .



(٣٧)

كانت الريح الغربية تهب كل ليلة ، لكن صباح الجولة التالية ـ الأول من كانون الأول ـ كان دافئاً وجميلاً . في هذه الصباحات يبحث المرء عن ومضات ربيعية في الجو .

بعد مباراة شطرنج في الليلة السابقة مضى الأستاذ إلى المدينة ليلعب البليارد . قبل ذلك أمضى الليل حتى منتصفه وهو يلعب المهاجونغ مع ايواموتو وموراشيما وياواتا . وفي ذلك الصباح أخذ يتريض في الحديقة قبل الثامنة . كانت اليعاسيب الحمراء جاثمة على الأرض .

شجرة القيقب أسفل سلم غرفة أوتاكيه ما تزال نصف مخضرة . استيقظ أوتاكيه في السابعة والنصف . خشي أن تهزمه اضطرابات المعدة كما قال . كان يحتفظ بعشرة أنواع من العلاجات على مكتبه .

بدا الأستاذ الطاعن في السن وكأنه قد تغلب على الرشح ، وكان خصمه الشاب يعاني من متاعب متنوعة . والمدهش أن أوتاكيه كان الأكثر توتراً وانشداداً بين الاثنين . حاول الأستاذ إشغال نفسه بألعاب أخرى بعيداً عن الرقعة . لم يكن يلامس حجر « غو » واحداً حين يؤوب إلى غرفته . أما أوتاكيه فقد كان واضحاً أنه يلازم الرقعة طيلة أيام الاستراحة ويواظب على دراسة أحدث التشكيلات . لم يكن الفارق متصلاً بالسن فقط بل بالمزاج أيضاً .

« حلّق طائر الكوندور ليلة أمس في العاشرة والنصف » قال الأستاذ فور وصوله إلى غرفة الاداريين صبيحة ذلك اليوم ، « هل تتخيلون سرعته ؟ » .

كانت الشمس ساطعة فوق الأبواب الورقية لغرفة اللعب والتي تواجه الجنوب .

حدث أمر غريب قبل بدء الجولة .

فتح ياواتا المغلف المختوم بعد التحقق من الختمين . انحنى على الرقعة والجدول في يده ، وبحث عن الأسود ١٢١ . لم يستطع العثور عليه .

لقد كان على اللاعب الذي يحل دوره في نهاية الجولة أن يدون لعبته المختومة في جدول يضعه في مغلف ولا يطلع أحد عليه . في نهاية الجولة السابقة دخل اوتاكيه إلى القاعة ليدون لعبته . وضع اللاعبان ختميهما على المغلف وختمه ياواتا في مغلف أكبر ثم حفظه في خزنة النزل خلال الاستراحة . بذلك لم يكن الأستاذ أو ياواتا يعرفان لعبة أوتاكيه . كانت الاحتمالات محدودة مع ذلك ، وبدت اللعبة متوقعة من كل المشاهدين . تطلع الجميع بترقب شديد . قد تكون الأسود ١٢١ هي ذروة المباراة .

كان متوقعاً من ايواتا أن يعثر على موقع النقلة فوراً . لكن عيناه طافتا فوق الجدول . « آه ! » قال أخيراً .

كنت على مبعدة قصيرة من الرقعة ، ووجدت صعوبة في العثور على موقع الحجر الأسود حتى بعد وضعها . كنت حائراً في ايجاد تفسير للنقلة بعد العثور عليها . بعيداً في الأطراف العليا القصوى من الرقعة جثم الحجر معزولاً عن الصراع الدائر حتى ذروته في وسط الرقعة .

حتى لهاوٍ مثلي كانت اللعبة تبدو جزءاً من موقف « كو » في جزء بعيد من الرقعة(٤٠) . سيطرت علي موجة اشمئزاز . هل استغل أوتاكيه حقيقة كون الأسود ١٢١ لعبة مختومة ؟ هل وَضع ابتكار النقلات المختومة لاستخدامها تكتيكياً ؟ اذا صحّ ذلك فهو ليس جديراً بالتقدير .

« توقعت أن تكون قريبة من الوسط » قال ايواتا مبتسماً باستياء وهو يتراجع عن الرقعة . لقد انطلق الأسود لتدمير موقع الأبيض الحصين الهائل من الجهة اليمنى السفلية صعوداً نحو وسط الرقعة ـ فكان مثيراً للاستفزاز أن يلعب في مكان آخر حين يبلغ الهجوم أقصى درجاته . استناداً إلى ذلك بحث

ياواتا عن موقع النقلة المختومة في ساحة المعركة ، من المركز هبوطاً إلى اليمين . حصّن الأستاذ « العيون »[41] بلعبه » كردّ على الأسود ١٢١ ، ولو لم يفعل لماتت القطع الثمانية البيضاء في أعلى الرقعة . كان سيبدو عليه أنه يرضخ للرد بلعبة « كو » .

أمسك أوتاكيه بحجر ومضى يفكر بعض الوقت . انطوت يداه بشدة فوق ركبتيه ومال رأسه إلى جانب واحد بينما جلس الأستاذ في وضع من التركيز البالغ .

الأسود ١٢٣ التي استغرقت ثلاث دقائق أعادت أوتاكيه إلى مهمة قطع تشكيلات الأبيض . قام أولاً باجتياح الزاوية اليمنى السفلية . تحولت الأسود ١٢٧ من جديد إلى وسط الرقعة واندفعت الأسود ١٢٩ أخيراً لقطع رأس المثلث الذي استجمعه الأستاذ بعناد بالغ في نقلته الأبيض ١٢٠ .

علّق وو من المرتبة السادسة قائلاً : « بعد حصار محكم فرضته الأبيض ١٢٠ استقر قرار الأسود على السياق الهجومي من الأسود ١٢٣ وحتى الأسود ١٢٩ . انه ذلك النوع من اللعب الذي يوحي بروح عالية من التنافس والذي يراه المرء في المباريات النهائية » . لكن الأستاذ تفادى هذا الهجوم الشامل وسدّ المنافذ التي يخترق منها الأسود بتحوله إلى الهجوم المضاد جهة اليمين . أصابني الارتياع ، كانت لعبة غير متوقعة اطلاقاً . شعرت بتوتر عضلي ، كأن الجانب الشيطاني من الأستاذ قد تكشّف فجأة . هل تحقق الأستاذ من خلل في الخطط التي توحي فيها نقلة الأسود ١٢٩ ـ القريبة تماماً من خصائص أسلوب أوتاكيه ـ فراوغ متراجعاً ثم انقلب ليخوض القتال في الداخل بهجوم مضاد ؟ أم أنه يطلب اكتساحاً ليرد باكتساح مضادجارحاً نفسه ليخرّ خصمه صريعاً ؟ لقد رأيت في الأبيض ١٣٠ شيئاً يعرب عن غضبة ازدراء وتعفف أكثر مما يعرب عن ارادة في القتال .

« شيء رائع » تمتم أوتاكيه مكرراً العبارة مرة بعد أخرى . « شيء رائع حقاً » . كان يمعن التفكير في الأسود ١٣١ حين نودي على استراحة الظهيرة ، « لقد قدم لي شيئاً رائعاً . انه شيء مريع ، هذا ما أعنيه . انه زلزال . أقوم

بنقلة خرقاء ، فأجد نفسي مكتوف اليدين ».

« هكذا تكون الحروب » قال ايواموتو بوقار . وكان بالطبع يعني أن المعارك الفعلية تشهد تحقق الغامض الذي كان طي المجهول وأن الأقدار تختتم في برهة وجيزة . هكذا كانت اشكالات الأبيض ١٣٠ . كل خطط ودراسات اللاعبين ، كل توقعاتنا نحن الهواة والمحترفين ذهبت أدراج الرياح .

ولأني مجرد هاوٍ لم أدرك مباشرة أن الأبيض ١٣٠ تؤكد هزيمة « الأستاذ الذي لا يقهر ».

(٣٨)

بيد اني كنت أحس بحدوث أمر غير عادي . لا أدري ـ اذا كنا قد تبعنا الأستاذ إلى الغداء ام دعانا هو لمرافقته ، لكننا وجدنا أنفسنا في غرفته ؛ وحالما جلسنا قال بصوت خافت لكنه متوتر : « المباراة انتهت . لقد أفسدها السيد أوتاكيه بتلك اللعبة المختومة . كانت أشبه برشق الحبر على صورة جهدنا لرسمها . لقد شعرت فور رؤيتي للعبة أن المبارة باطلة . كأننا نقول للعالم أنها القشة الأخيرة . فكرت حقاً في إبطال المباراة لكني ترددت ، وهذا ما حدث » .

لست أذكر على وجه الدقة حضور ياواتا وغوي . لبثنا صامتين .

« لقد أقدم على تنفيذ تلك النقلة . . لماذا ؟» زجر الأستاذ . « لأنه يبغي استغلال يومين كاملين في تقليب الأمور . هذه مخاتلة » .

لم نقل شيئاً . لم يكن بوسعنا الايحاء بالموافقة أو التفتيش عن مخرج للدفاع عن أوتاكيه . لكن عواطفنا كانت مع الأستاذ .

لم أكن ادرك لحظة تنفيذ النقلة أن الأستاذ بات على درجة من السخط وخيبة الأمل تدفعه للتفكير في إبطال المباراة . لم تبد على وجهه أو في طريقة جلوسه إلى الرقعة علامة تأثر واحدة . لم يكن أحدنا يحس بمدى تأزمه .

كنا نرقب ياواتا وهو يجد صعوبة في مقارنة النقلة المختومة بالجدول ، ولم ننظر إلى الأستاذ . لكن الأستاذ لعب الأبيض ١٢٠ دون زمن يذكر ، في أقل من دقيقة . كان مفهوماً اننا لم نلحظ شيئاً . لم تكن الدقيقة قد بدأت تماماً حين عثر ياواتا على النقلة المختومة ، لكن الأستاذ استجمع قواه في زمن قصير للغاية وحافظ على رباطة جأشه خلال الجولة .

انها صدفة لنا جميعاً أن نسمع كلمات السخط تلك من الأستاذ ، وهو الذي نفذ نقلته التالية بكل رباطة جأش . لقد وجدت في تلك الكلمات جوهراً مركزّاً ، فالأستاذ يخوض المعركة بدءاً من حزيران وحتى كانون الأول .

لقد استجمع الأستاذ أجزاء اللعبة وكأنه ينجز عملاً فنياً . كأن العمل الشبيه بلوحة فنية قد تلطخ بالأسود في ذروة توتره . تلك اللعبة من الأسود على الأبيض ومن الأبيض على الأسود تأخذ مضمون وأشكال الفن الخلاق . انها تنطوي على تدفق الروح واتساق الموسيقى . كل شيء إلى ضياع حين تعلو نغمة شاذة زائفة ، او يندفع أحد طرفي انشودة ثنائية ليتطاول بصوته الشاذ على الآخر . تحفة المباراة يمكن افسادها بانعدام الحساسية تجاه مشاعر الخصم . لقد ظلت تلك النقلة ـ الأسود ١٢١ ـ مصدر استغراب ودهشة وشك وارتياب من قبلنا جميعاً ، وكان لها تأثيرها في قطع انسياب واتساق اللعبة ، وهذا أمر لا مجال لانكاره .

لقد خضعت الأسود ١٢١ لنقاش واسع في أوساط محترفي عالم الـ « غو » وعلى نطاق أوسع خارجه أيضاً . أما بالنسبة لهاوٍ مثلي فقد بدت اللعبة غريبة وغير طبيعية بصورة مباغتة ، فضلاً عن أنها مثيرة كلياً للنفور . غير أن بعض المحترفين قالوا فيها بعد أن الوقت قد حان للقيام بنقلة مثلها .

« لقد كنت أفكر أن وقت لعب الأسود ١٢١ سوف يحين يوماً ما »، هكذا تذكر أوتاكيه في كتابه « أفكار ما بعد الصراع ».

لم يتحدث وو عن اللعبة إلا قليلاً . بعد انجاز الربط القطري في ١٩ ـ E و١٩ ـ F « لم يعد الأسود بحاجة لرد شبيه بما فعله الأستاذ في ١٢٢ حتى عند مواجهة الأسود ١٢١ ، ولكن كان بوسعه الدفاع عن نفسه في ١٩ ـ H . عندها سيجد الأسود ان نطاق اللعبات المحتملة من الـ « كو » أضيق بكثير ».

ولا شك في أن تفسير أوتاكيه سيكون مماثلاً .

جاءت نقلة الأسود ١٢١ والمعركة في وسط الرقعة تبلغ أشدها ، وكـانت لعبة مختومة . لقد أغضبت الأستاذ وأثارت الشكـوك في أوساطنـا . في موقف صعب يحق للاعب فعلياً أن يضع نقلة مختومة مثل الأسود ١٢١ كذريعة نفعية مؤقتة ، وله حتى يحين موعد الجولة التالية - وهي في هذه الحالة ثلاثة أيام - أن يمعن التفكير في الشكل الذي ستكون عليه النقلة الأخيرة في الجولة السابقة . ولقد سمعت أيضاً ببعض اللاعبين - وضمن تصفيات كبرى ربما - الذين يلعبون وكأنهم ينتقلون من الـ « كـو » إلى أقصى نقاط الرقعة وآخر الثواني المسموح بها من حصة الزمن تكاد تمضي ، وهم بذلك يطيلون عمر اللعبة بضع ثوان اضافية . لقد ابتكرت طرائق عديدة للاستفادة من الاستراحات واللعبات المختومة . القواعد الجديدة تضيف تكتيكات جديدة ، ولعلها لم تكن مصادفة اطلاقاً ان تنتهي الجولات الأربع منذ استئناف اللعب في إيتو بلعبة مختومة من قبل الأسود .

كان الأستاذ على استعداد تام للكشف ، حتى أنه قال فيها بعد : « فات أوان التراجع بالأبيض ١٢٠ »، وكانت اللعبة التالية هي الأسود ١٢١ .

في كل حال ، أهم ما في المسألة ان الأسود ١٢١ أغضبت الأستاذ ذلك الصباح وخيبت رجاءه .

بعد عام كامل[٤٢] تحدث الأستاذ بصراحة - في كتابه « مقاطع مختارة من الغو » المأخوذ عن « الأعمال الكاملة للأستاذ » - قائلاً : « هذا هو الوقت الصحيح للاستفادة الفعلية من الأسود ١٢١ . ينبغي لنا أن نلاحظ انه لو تقدم مرتاحاً (أي انتظر حتى يربط الأبيض خطوطه قطرياً) لتوفرت فرصة تجعل الأسود ١٢١ نقلة غير كافية ».

ولا مجال لبقاء الكثير من الشك بعد هذا الإقرار من خصم أوتاكيه ذاته . كان آنذاك غاضباً لأن النقلة غير متوقعة . وفي غضبه أطلق على دوافع أوتاكيه حكماً جائراً .

ولعل الأستاذ - في تحرّجه وظهوره ايضاح الأمور - نظر إلى الأسود ١٢١ من زاوية خاصة . ولكن ألا يبدو صحيحاً القول بأن الأستاذ - في عمل

مطبوع صدر بعد عام من المباراة ونصف عام قبل وفاته ـ كان يسترجع خصائص النزاع ويدلي باعتراف هادىء حول مقاصد اللعبة كما كانت عليها ؟ .

و« الآن » التي يريدها الأستاذ تقابل « في وقت من الأوقات » عند أوتاكيه . لكنها ما تزال لغزاً بالنسبة لهاوٍ مثلي .

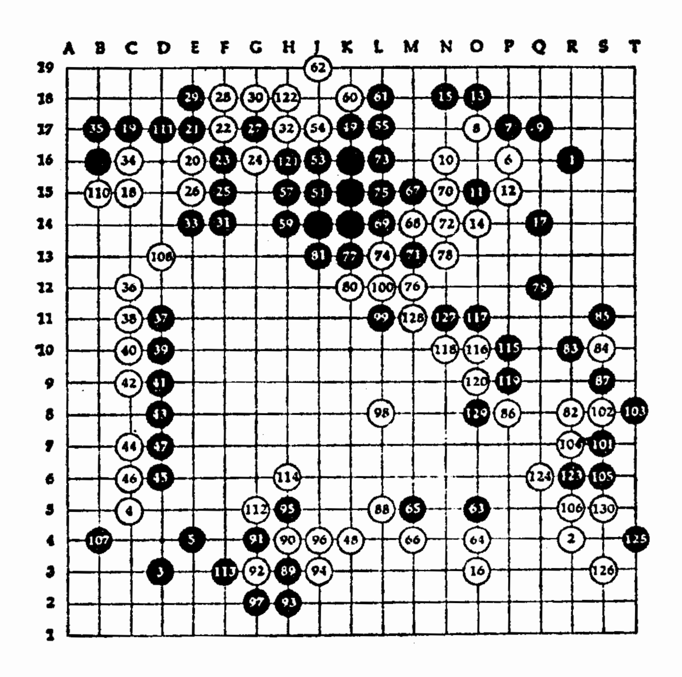
(٣٩)

هناك لغز آخر : لماذا لعب الأستاذ الأبيض ١٣٠ فأكد بذلك هزيمته الشخصية ؟ نفّذ اللعبة في الحادية عشرة والدقيقة الرابعة والثلاثين ، بعد سبع وعشرين دقيقة من التفكير . ان قيامه بتنفيذ لعبة رديئة بعد نصف ساعة من التفكير العميق ليس سوى مسألة حظ كما افترض. لكني فيما بعد شعرت بأسف لانه أحجم عن الانتظار ساعة أخرى قبل نقل اللعبة إلى استراحة الظهيرة . كان محتملاً أنه سينفذ لعبة أكثر فعالية لو غادر الرقعة واستراح لمدة ساعة ونصف . وما كان ليسقط ضحية نذير عابر اذا صحّ القول . لقد تبقت له ثلاث وعشرون ساعة من اللعب ولا حاجة به للحرص على ساعة أو ساعتين . لكن الأستاذ لم يكن من النوع الذي يجني فائدة تكتيكية من الاستراحة . الأسود ١٣١ هي التي استأثرت بامتياز الاستراحة .

كانت الأبيض ١٣٠ أشبه بهجوم مضاد في الأقسام المغلقة ، وقال أوتاكيه أنه ترك مكتوف اليدين بعدها . علق وو قائلاً : « انها بقعة حساسة ، قد تكون الأبيض ١٣٠ لعبة هجومية وردّ فعل على اندفاع عملية القطع » .

ولكن كان على الأبيض ألا يتراجع قبل الاختراق مهما كلفه الأمر . ان التراجع عن تناحر بالغ الشراسة وعن تحدٍّ بالغ التصميم يعني الاستسلام والتنحي الشامل .

لعب أوتاكيه مباراة صلبة متأنية خلال جولات إيتو ، السيطرة تدعم السيطرة والتماسك يدعم التماسك . لقد جاء التفجر المفاجيء لقواه المتراكمة لحظة قيامه بالقطع في الأسود ١٢٩ . لم يكن قد لاح على أوتاكيه أنه صدم او اضطرب بانسحاب الأسود اكثر منا جميعاً . اذا استولى الأبيض



على الأحجار الأربعة السوداء إلى اليمين فسيتمكن الأسود ببساطة متناهية من اجتياح صفوف الأبيض نحو قلب الرقعة . لم يظهر الأسود رد فعل مباشر ازاء الأبيض ١٣٠ ، لكنه وسّع انتشار الأسود ١٢٩ بالأسود ١٣١ . عاد الأبيض إلى الاندفاع في منطقة الوسط بالأبيض ١٣٢ . كان حرياً به أن يرد على الأسود ١٢٩ مباشرة .

ورثى الأستاذ اللعبة في مراجعته للمباراة : « كانت الأبيض ١٣٠ خطيئة قاتلة . السياق المناسب يفترض القطع الفوري في ١١ ـ P وانتظار ردّ الأسود . لو ردّ مثلاً في R — P فستكون الأبيض ١٣٠ هي اللعبة الصحيحة . حتى لو وسّع انتشاره ـ كما فعل في الأسود ١٣١ ـ لما احتاج الأبيض إلى الاسراع في تنفيذ انتشار مائل في ٨ ـ Q بل تعزيز صفوفه عند ٩ M بكل هدوء . ومهما طرأ من تنويعات ستظل الخطوط أكثر تعقيداً مما هي عليه في الجدول ، وتنشأ معركة التحام مباشر . جاءت الضربة القاضية بالهجوم الذي يتلو الأسود ١٣٣ . لقد بقي الأبيض خائر القوى

وعاجزاً عن الـرد بهجمة سـاحقة مماثلة بصرف النـظر عن مدى استمـاتته في البحث عن العلاج ».

كانت اللعبة القاتلة توحي بفشل سيكولوجي وفيزيـولوجي ، ورغم انني مجرد هاوٍ فقد خطر لي حينذاك أن الأبيض ١٣٠ ـ التي بدت لعبة قويـة ونوعـاً من اللعب الهـاديء المتراجـع ـ تدل عـلى أن الأستاذ يحـاول إرجاع المـدّ وهو الذي اتخذ جانب الدفاع بثبات ؛ شعرت في الوقت ذاته أن صبره يكـاد ينفذ وأن مزاجه على وشك الانهيار . لكنه قال بأنه لو قطع الأسود في نقطة واحدة لأنقذ نفسه . بـذلك يبـدو الخطأ وكـأنه نـاتج عن شيء أكبـر من لحظة غيظ ساورت الأستاذ طيلة الصباح ، لكن المرء لا يستـطيع الجـزم بشيء. لم يكن بوسع الأستاذ نفسه أن يعيش مدّ القدر وجزره داخل نفسه ،ولا حجم الأذى الناتج عن تلك النذر العابرة .

ساعة لعب الأستاذ الأبيض ١٣٠ تناهى صوت عزف عـلى الفلوت . . . لكأن العازف يسعى إلى تهدئة العاصفة الثائرة فوق سطح الرقعة .

أصاخ الأستاذ السمع . لاح أنه يسترجع ذكرى ما :
من التلال في الأعالي ، هوذا الوادي يشق السفوح السفلى .
حيث ثمار البطيخ الأصفر تزهر صفوفاً صفوفاً . .

« انها المقطوعة الأولى التي يتعلمهـا المرء عـلى الفلوت . هناك نـوع آخر من الفلوت القصبي لـه ثقب واحد أصغـر من هذا . انهم يسمـونه المفصـل الأحادي »[٤٣].

انكب أوتاكيه يفكر في الأسود ١٣١ طيلة ساعة وخمس عشرة دقيقة ، مـا عدا استراحة الظهيرة ، في الثانية بعد الظهر التقط حجراً .

« هل ألعب ؟ » تردد قليلاً ثم لعب .
بادر الأستاذ الجـالس باستقـامة السهم إلى دفـع رأسه إلى الأمـام ، ونقر حافة المجمرة بعصبية . حدق في الرقعة . كان يحصي النقاط .

المثلث الأبيض الـذي قـطعـه الأسـود ١٢٩ قـطع من الجهـة الأخــرى

بـالأسود ١٣٣ ، وبينـما كانت أحجـار الأبيض تُصّفى لعبـة إثـر أخـرى حتى الأسود ١٣٩ توضـح شكل التغيـرات « الزلـزالية » التي تحـدث عنها أوتـاكيه أسفـل وحول الأحجـار البيضاء الثـلاثة . لقـد غـزا الأسـود قلب التشكيـل الأبيض . أكاد أسمع دوي الانهيار .

« لست أدري . . الأمـر سواء . لست أدري » تمتم الأستـاذ وهو يـروّح بمروحته بعصبية وثورة . هل يستولي على الحجرين الأسودين القريبـين منه أم يقتفي خطه في الصعود ؟ « لست أدري . . . لست أدري » .

لكنه لعب بسرعة فائقة خلال ثمـان وعشرين دقيقـة . أحضر الخـدم الشاي والمرطبات .

« لست أشعر اني على ما يرام . شكراً لك » قال أوتاكيه رافضاً مسـاعدة « موشيزوشي »(٤٤)التي ألحّ الأستاذ على قبولها .

« اعتبرها علاجاً » .

« كنت واثقـاً أن هذه ستكـون اللعبة المختـومـة » قـال أوتـاكيـه متـأمـلاً الأبيض ١٤٠ . « انت تلعب بسرعة هـائلة يا سيـدي ، فتجعل رأسي يـدور ويدور ، لا شيء يضايقني أكثر من ذلك » .

كانت الأسود ١٤٥ هي اللعبة المختومة . أخذ أوتـاكيه حجـراً بين يـديه ومضى يفكر ، حتى حل موعد انهاء الجولة . انسحب إلى القاعة ليكتب لعبته المختـومة . واصـل الأستاذ حملقتـه في الرقعـة . بدت جفـونه السفـلى ملتهبة ومتورمة قليلاً . كان يكثر من النظر في ساعته خلال جولات إيتو .

(٤٠)

« اني راغب في انهاء المباراة هذا اليوم اذا أمكن » قال الأستاذ مخاطباً الاداريين صبيحة الرابع من كانون الأول . خلال مجريات الجولة الصباحية قال لأوتاكيه : « أظننا سننتهي اليوم ». هزّ أوتاكيه رأسه بهدوء.

ولأني كنت مراسلاً صحفياً يصف المعركة بنزاهة فقد شعرت بضيق في صدري ـ أمام فكرة انتهاء المباراة بعد نصف عام من بدايتها بهزيمة الأستاذ الواضحة للجميع .

في ذلك الصباح ذاته ـ وحين كان أوتاكيه بعيداً عن الرقعة ـ التفت الأستاذ نحونا وابتسم بعذوبة : « انتهى كل شيء . لا يمكن القيام بشيء آخر ».

لست أعرف متى استدعى الحلاق ، لكنه هذا الصباح بدا شبيهاً بكاهن حليق الرأس جاء إلى إيتو وشعره طويل مفروق ـ كما كان في المشفى ، ومصبوغ بالأسود ؛ انه الآن قصير مقصوص . قد يرى المرء بعض التكلف المسرحي في تبديل الطراز هذا ؛ لكنه بدا شاباً متألقاً كأن قشرة كهولة قد أزيلت عنه .

صادف الرابع من كانون الأول نهار الأحد . كانت هناك زهرة أو زهرتان من البرقوق في الحديقة . وما دام ضيوف عديدون قد حلّوا في النزل يوم السبت فقد عقدت الجولة في الملحق الجديد ـ الغرفة التي كانت لي طول الوقت ـ بجوار غرفة الأستاذ . كانت هذه تقع في الطرف البعيد من البناء الجديد . شغل الاداريون الغرفتين اللتين تعلوانها مباشرة في الليلة السابقة . لقد كانوا في واقع الأمر يحمون الأستاذ من تطفل ضيوف

آخرين . أما أوتاكيه الذي شغل الطابق الثاني من البناء الجديد فقد انتقل إلى ألأسفل منذ يوم أو يومين . لم يكن يشعر أنه على ما يرام كما قال ، وكانت محنة بالنسبة له أن يصعد وينزل مستخدماً السلالم .

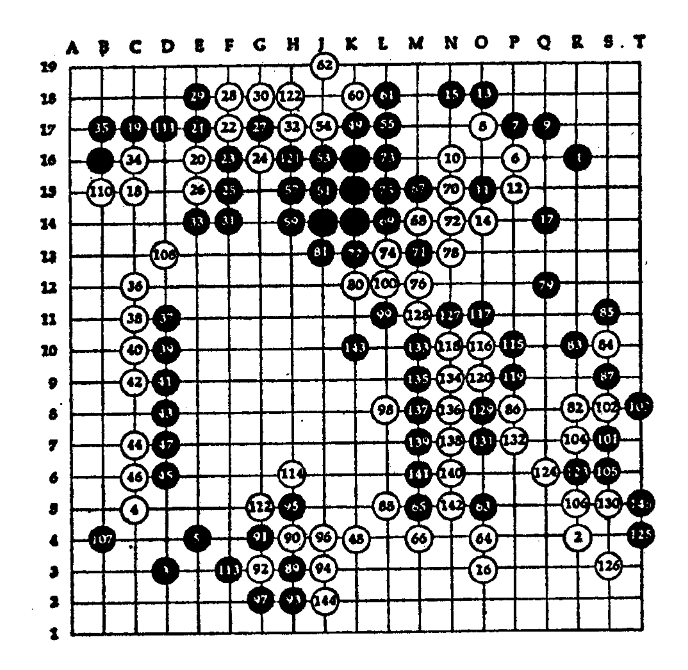
البناء الجديد يواجه الجنوب مباشرة . الحديقة واسعة ومفتوحة وأشعة الشمس تسقط على رقعة الـ « غو » مباشرة .

حدق الأستاذ في الرقعة والأسود ١٤٥ يجري فتحها ، رأسه مائل إلى جهة واحدة وحاجباه متغضنان وجذعه صلب منتصب . لعب أوتاكيه بسرعة أكبر ، ربما لإدراكه أنه ظفر بالفوز .

ان التوتر الذي يكتنف المواجهة في الأجزاء الختامية لا يشبه ذاك الذي يكتنف الافتتاح والمراحل المتوسطة . بدت الأعصاب الفجة وكأنها تحترق فهناك أمر جليل مؤلم يحيط بهذين الشخصين المندفعين إلى نزال ختامي . تصاعدت الأنفاس بسرعة أكبر ، كأن المحاربين يتفاديان ضربات الخناجر في صراع مميت بدت نيران المعرفة والحكمة تتلظى فيه وتتصاعد منه .

حان وقت انطلاق أوتاكيه في العدو بأقصى سرعته كما في مباراة عادية ، فيلعب مئة حجر في مدار الدقيقة الأخيرة المخصصة له . ما يزال لديه هامش زمني يبلغ ست أو سبع ساعات ، لكنه بدا مصمماً على الحفاظ على توقيته كأنه يقود دفة أعصابه المستثارة . كان يمدّ يده إلى حجر وكأنه يجلد نفسه بالسياط ، ثم يغرق من جديد في تفكير عميق بين حين وحين . حتى الأستاذ يتردد في بعض الأحيان حين يمسك حجراً بين يديه .

كانت مشاهدة هذه المراحل الأخيرة شبيهة كل الشبه بمشاهدة الحركة الأخيرة لآلة مُسيّرة . . تقدم رياضي صارم ومتعة جمالية في النظام والتوافق الشكلي . كنا نشاهد معركة ، لكنها أخذت أشكالاً طاهرة نقية . أكانت شخصيتا اللاعبين وعيونهما المسمرّة على الرقعة تسهم في اضفاء مسحة من التناسب الشكلي ؟ .



منذ الأسود ١٧٧ وحتى الأبيض ١٨٠ بدأ أوتاكيه في حالة من النشوة ، تأخذه نوبة أفكار أعظم من أن تضمها النفس . كان الوجه المستدير الممتلىء يتسم بتناسق وكمال رأس لبوذا . كان وجهاً مدهشاً عصياً على الوصف . . . لعله دخل مملكة الشعور الأقصى بالقيمة والرفعة . بدا أنه في متاعبه الهضمية .

كانت السيدة أوتاكيه تحمل طفلها الرائع بين ذراعيها وتتجول في الحديقة ناظرة إلى غرفة اللعب بعين قلقة . . ولعلها تخشى الاقتراب منها .

لعب الأستاذ الأبيض ١٨٦ ، ثم رفع بصره والصافرة تتعالى من جهة الشاطيء . « هناك متسع لكم جميعاً » قال متودداً وهو يلتفت الينا .

كان أونودا من المرتبة السادسة يشهد تصفيات الخريف وهي تدنو من نهايتها . الآخرون يراقبون ختام المعركة : ياواتا من الرابطة ، غوي وسونادا من صحيفة نيشينيشي ، مراسل الصحيفة في إيتو ، الاداريون ، وبقية

الموظفين . كانوا يحتشدون داخل حجرة الانتظار ويقف بعضهم وراء القاطع . أخذ الأستاذ يدعو الجميع للاقتراب من الرقعة ومتابعة المباراة .

دامت رزانة الوجه البوذي لحظة واحدة . عاد وجه أوتاكيه إلى الحياة من جديد ، عارماً برغبة القتال . بدا هيكل الأستاذ الصغير الجميل المنتصب وهو يحصي النقاط وكأنه يتشح بجلال خاص يسبغ السكينة على الجو المحيط به . حين لعب أوتاكيه الأسود ١٩١ تدلى رأس الأستاذ إلى الأمام إقترب من الرقعة وعيناه تتسعان . كلاهما يروّحان بالمروحتين . انتهت جولة الظهر بالأسود ١٩٥ .

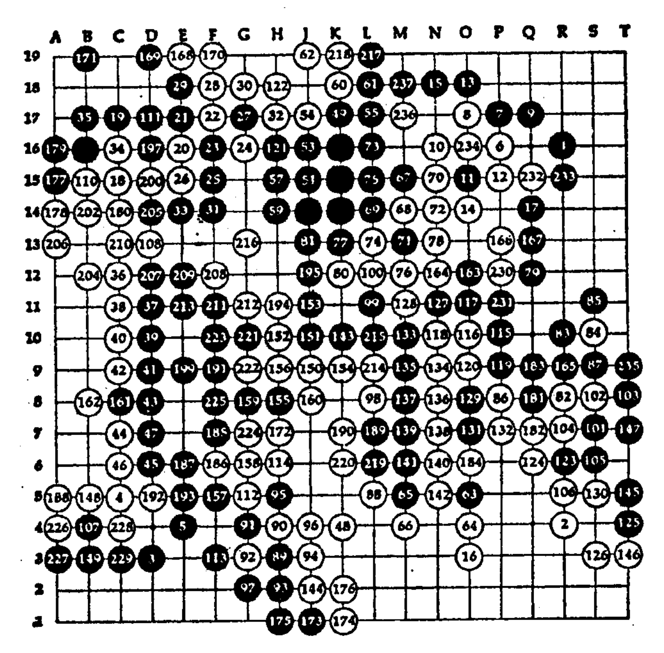
عادت جولة بعد الظهر إلى الموقع الطبيعي ، الغرفة السادسة في البناء الرئيسي . تلبدت السماء بالغيوم ابتداء من الظهر وتواصل يغيب الغربان . سقط فوق الرقعة ضوء مصباح بستين شمعة ، إذ ستكون المئة شمعة قوية للغاية . تراقصت فوق الرقعة خيالات صور باهتة بلون الأحجار . لعلّ القائم على النزل ـ ضمن ما يبذله من عناية خاصة بهذه الجولة الأخيرة ـ غيّر السجاجيد المعلقة في فجوة الجدار بمناظر طبيعية رسمها كاواباتا غيوكوشو(٤٥). انتصب في الفجوة تمثال صغير لبوذا وهو يمتطي فيلاً ، وبالقرب منه طاس من الجزر والخيار والبندورة والفطر والبقدونس الثلاثي وما شابهها .

ولقد سمعت مراراً ان المراحل الأخيرة من مباراة كبرى تكون رهيبة وثقيلة حتى ليصعب على المرء متابعتها بنظره . غير أن الاستاذ بدا هادئاً وأبعد ما يكون عن التوتر . لم يكن المرء يخمن أنه الخاسر . لقد توردت وجنتاه بفعل ما يقارب المئتي نقلة ، ولم يكن ضيعة يزيد قليلاً عما كان عليه حين خلع لفاعه للمرة الأولى ؛ بيد أن جلسته ظلت لا غبار عليها . كان هادئاً هدوءً مطلقاً حين نفّذ أوتاكيه آخر نقلاته الأسود ٢٣٧ .

قال أونودا حين أضاف الأستاذ نقطة تعادل: « ستكون خمس نقاط !». ,

نعم ، خمس نقاط » قال الأستاذ . لم تصدر عنه أية حركة توحي باعادة ترتيب الرقعة وهو يرفع بصره من خلال جفنين محتقنين . انتهت المباراة في

الثانية والدقيقة الثانية والأربعين .



[الأسود ٢٠١ و٢٠٣ (١٣ ـB' و١٣ ـ ٢) وقعا لي الأمر بالأبيض ٢٠٦ والأبيض ٢١٠ الموضوع أصلاً على ١٣ ـ ٢ محتل في الأصل من الأسود ٢٠٣ . الأبيض ١٩٦ و١٩٨ (١٠ ـ F و١٠ ـE) وقعا في الأسر بالأسود ٢٢١ ، والأسود ٢٢٣ الموضوع على E محتل في الأصل من الأبيض ١٩٦].

« لقد قدرّت قبل اعادة ترتيب الرقعة(٤٦)بأنها ستكون خمس نقاط » قال الأستاذ مبتسماً حين أعاد التفكير بالمباراة في اليوم التالي . « لقد قدّرتها بثمان وستين ضد ثلاث وسبعين . لو انكم أعدتم ترتيب الرقعة فعلياً فلن تجدوا ذلك الفارق الكبير كما أظن ». أعاد ترتيب بنفسه وحصل على تسجيل مقداره ست وخمسون للأسود ضد واحد وخمسين للأبيض .

لم يكن بمقدور أحد تخمين فارق النقاط الخمس حتى لحظة نجاح الأسود في تدمير تشكيلة الأبيض بعد اللعبة القاتلة الأبيض ١٣٠ .

كـان اهمـالاً مـن الأستـاذ الا يـلجـأ لـلهـجـوم والـقـطع في ٢ ـR بالأبيض ١٦٠ ربما ـ كما اعترف الأستـاذ بنفسه ـ لأنـه بذلـك فقد فـرصة[٤٧] تخفيض احتمالات نصر أوتاكيه . ويرى المرء أن لعبة كهذه ستضعف الفـارق إلى ثـلاث نقاط ، حتى بتلك اللعبـة العاشـرة الابيض ١٣٠ . مـاذا ستكـون المحصلة بالتالي لو لم يتخبط الأستاذ ولم تحدث التغيرات « الزلزاليـة »؟ هزيمـة للأسود ؟ لا يستطيع هاوٍ مثلي أن يجزم ، لكني لا أظن بأن الأسود سيخسر . لقد توصلت إلى قناعة راسخة ، من خلال أسلوب أوتاكيه وتصميمه الواضح من خلال مجريات المباراة ـ بأنه سيحرف اتجاه الهزيمة حتى لو اضطر في مجـرى العملية إلى مضغ الأحجار وتمزيق أوصالها .

وقد يقول المـرء أيضاً أن الأستـاذ العجوز الـذي تجاوز الـرابعة والستـين وأنهكـه المرض لعب بمهـارة ليصـد هجمـات عنيفـة من أفضـل ممثلي النـظم الجديدة ، وذلك حتى آخر لحـظات المباراة حـين انزلق زمـام المبادرة من بـين يديه . كان المسار الطبيعي يقود إلى مباراة ختامية حساسـة . ومع ذلـك ـ ربما كانت صحة الأستاذ هي التي جعلت مباراته تفتقر إلى الثبات والبراعة .

خسر « الأستاذ الذي لا يقهر » مباراته .

« يبدو أن الأستاذ قد اختط لنفسه مبـدأ حشد كـل شيء في لعبة طـرفها الثاني من يليه مباشرة ، ذاك الـذي سيخلفه »، قـال أحد التـلاميذ . وسـواء أفصح الأستاذ عن هذا المبدأ أم سكت عنه فقد تصـرف وفقه طيلة حيـاته في اللعبة . في اليوم التالي عدت إلى بيتي في كاماكـورا . ولأني لم أكن قادراً عـلى انهاء سلسلة حلقـاتي الصحفية الستوالستـين فقد شرعت في رحلة إلى إيسيه وكيوتي وكأني أفرّ من ساحة القتال .

وسمعت أن الأستاذ مكث في ايتو وزاد وزنه أربعة أرطال حتى بات يـزن سبعـين رطلاً ، وأنـه زار دار نقاهـة عسكريـة وأهداهـا عشرين مجمـوعة من أحجار الـ « غو ». وفي أواخر عام ١٩٣٨ كانت نُزُل الينابيع الحـارة تستخدم كدور نقاهة .

(٤١)

انه عيد من السنة الجديدة » للسنة الثانية ، بعد عام واحد من مبارة الاعتزال . شهد الأستاذ واثنان من تلاميذه ـ مايبدا من المرتبة السادسة ويوراشيا من المرتبة الخامسة ـ طقوس « السنة الجديدة » في مدرسة عديله تاكاهاشي من المرتبة الرابعة (فقد كان يعطي دروساً في منزل سكاماكورا) . كان اليوم يصادف السابع من كانون الثاني . رأيت الأستاذ للمرة الأولى منذ المباراة .

لعب مباريتين تدريبيتين ، لكنهما أرهقتاه كما يبدو . لم تكن الأحجار تصدر أي صوت وهو يسقطها بخفة ، عاجزاً عن ابقائها بين أصابعه . خلال المباراة الثانية كان كتفاه يرتجفان قليلاً بتأثير تنفّسه . لم يكن انتفاخ جفنيه ملحوظاً على وجه خاص ، لكني فكرت في الحالة التي كان عليها في هاكونيه . انه ما يزال متوعكاً .

ولأن خصومه كانوا من الهواة ومبارياتهم على سبيل التدريب فلم يكن متوقعاً أن يجد الأستاذ صعوبة في الفوز . لكنه كعادته دائماً غرق في اللعب . حجزنا للعشاء في الفندق المطلّ على الشاطيء وعلقت المباراة التالية عند الأسود ١٣٠ . كان خصم الأستاذ هاوياً متمكناً من المرتبة الأولى ، واجهه بإعاقة من أربعة أحجار . أظهر الأسود قوة منذ المراحل المتوسطة من المباراة وكان يندفع نحو مواقع الأبيض العريضة والهزيلة .

« يبدو أن الأسود يستأثر بأفضل المزايا ؟ » سألت تاكاهاشي .

ردّ قائلاً : « هذا صحيح . انها رقعة سوداء . الأسود أضخم . الأبيض يواجه بعض المتاعب . استاذنا يعاني بعض الشيخوخة . انه يتوقف بسهولة

ليست معهودة فيه . لم يعد بوسعه اللعب أكثر من ذلك ، وهذه حقيقة واقعة . لقد هبط مستواه بمعدل مفزع منذ المباراة الأخيرة ».

« نعم . يبدو أن السنين تثقل كاهله بسرعة ».

« لقد تحول إلى سيد كهل رقيق . أشك في أن هذا كان سيحصل لو فاز في مباراته الأخيرة ».

« سوف ألقاك في أتاكي » قلت للأستاذ وأنا أغادر الفندق .

وصل الأستاذ وزوجته إلى أوروكويا في الخامس عشر من كانون الثاني . كنت قد أقمت قبلها لبضعة أيام في جوراكو. غادرت برفقة زوجتي إلى أوروكريا مساء السادس عشر . بادر الأستاذ من فوره إلى احضار رقعة الشطرنج ولعبنا لعبتين . . لست لاعب شطرنج غير عادي ولم اكن متحمساً فلم يجد صعوبة في هزيمتي حتى بإعاقة زحّ وفيل(٤٨) كرر الحاحه ببقائنا على العشاء وتجاذب اطراف الحديث .

« البرد قارس حقاً » قلت له . « حين يزداد دفئاً ينبغي أن نذهب إلى جوباكو أو شيكويو ». تساقط ثلج عابر ذلك اليوم .

كان الأستاذ مغرماً بسمك الأنكليس .

بعد مغادرتنا دخل إلى حمام ساخن كما علمت . كان على زوجته أن تساعده . بعد ذلك استولت عليه نوبة من آلام الصدر ووجد صعوبة في التنفس . توفي قبل الفجر بعد ذلك بيومين ، أعلمنا تاكاهاشي بوفاته هاتفياً . فتحت مصاريع النوافذ . لم تكن الشمس قد ارتفعت بعد . تساءلت عما اذا كانت الزيارة الأخيرة مبعث ارهاق له .

قالت زوجتي : « كان متلهفاً لبقائنا على العشاء ».

« نعم ».

« وهي ألحفت في دعوتنا أيضاً . خطر لي أن رفضك للدعوة سيكون خاطئاً . لقد أعلمت الخادمة بأننا سنمكث معها على العشاء ».

« لقد عرفت ذلك . لكني خشيت أن يصاب بالبرد » .

« لست أدري هل فهم ذلك . لقد كان راغباً في بقائنا ، واتساءل هل سببنا له أذى برفضنا ؟ لم يكن راضياً اطلاقاً عن ذهابنا . كان واجباً أن نقبل الدعوة بهدوء .

ألا تعتقد بأنه كان يشعر بالوحشة ؟ » .

« نعم . لكنه يشعر بالوحشة دائماً » .

« كان الجو بارداً وشيعناه حتى الباب » .

« كفى ! لا أحب هذه المواضيع . لا أحب سماع أحاديث الموت » .

أعيد الجثمان إلى طوكيو في اليوم ذاته حمل من الفندق في لحاف ، وكان لحافاً رقيقاً إلى درجة تجعل المرء لا يصدق أن الأستاذ بداخله . مكثت وزوجتي على مسافة قصيرة منه ، ننتظر مغادرة الجنازة .

قلت لها : « لا توجد زهور . اذهبي وابحثي عن بائع زهور . سارعي بالذهاب قبل مغادرة الجنازة » .

هرعت زوجتي لاحضار الزهور . . قدّمتها لزوجة الأستاذ التي لازمت الجنازة ، قريبة من الأستاذ .

ملاحظات

١ ـ الـ « شوغي » لعبة تشترك بأصل هندي عام مع لعبة الشطرنج الغربية ـ وهي تلعب على واحد وثمانين مربعاً بعشرين قطعة حجرية لكل فريق . ويمكن « ترقية » معظم القطع بحيث تكتسب حرية أكبر في الحركة عند الاختراق في عمق منطقة الخصم . ويمكن اعادة القطع المأسورة إلى اللعب من قبل الطرف الآسر .

٢ ـ احصاء القسط الزمني ليس متكاملاً خلال السرد ، فالرقم ٦٤ يبدو وكأنه ينطوي ضمناً على ٦٢ قسطاً في السرد القويم إذا أضيف نوع من الفاصل الزمني يغطي تعليق جولات هاكونيه وختام المباراة .

٣ ـ عملية مركبة لتدعيم وتبسيط الخطوط وتجري في نهاية المباريات العامة لتوضيح المحصلة أمام العين غير المدربة .

٤ ـ « نثر حبات الفاصولياء » لطرد التأثيرات الشريرة . تجري هذه الشعائر خلال الأسبوع الأول من شباط في الفترة التي تفصل انقلاب الشمس الشتائي عن الاعتدال الربيعي . هناك لمسة خيال هنا ، لأن علامة السمت التي ولد السيد كاواباتا بتاريخها حدثت سنة ١٩٣٥ وليس سنة ١٩٤٧ من جديد .

٥ ـ بقية الفصل تضم معظم أجزاء المقالين الصحفيين اللذين كتبهما كاواباتا مع بعض التعديل .

٦ ـ الـ « نوزوكي » نوع من التحدي المؤقت .

٧ ـ رغم أن القواعد مركبة فان موضوع الـ « رينجو » الأساسي هو استكمال خمسة أحجار « غو » في صف واحد .

٨ ـ يشير تعبير «هوشي» (النجم) إلى واحدة من النقاط التسع المرسومة على الرقعة للأحجار المعاقة (وتخلو منها هذه المباراة باعتبارها مباراة اللقب) . التعبير يشير هنا إلى واحدة من نجوم الزوايا ولكل منها ثلاث نقاط قطرية من الزاوية . أما الـ «كوموكون »أو العين الصغيرة فهي أكثر النقاط محافظة في اللعب الافتتاحي وتشكل نقطتين أو ثلاث من أية زاوية .

٩ ـ وو ـ شينغ ـ يوان ولد في مقاطعة فوكيان سنة ١٩١٧ . انه اكثر شهرة باسمه الياباني غوساي جين ، لكنه سيدعى وو في هذا النص تحاشياً للالتباس مع اسم اللعبة .

١٠ ـ هذه هي العاصفة التي تصفها تانيزاكي بحرارة في الكتاب الثاني من « شقيقات ماكيوكا ».

١١ ـ في الواقع جرت المباراة سنة ١٩٣٣ .

١٢ ـ لقد « قفز » فعلياً حين لعب ١٣ ـ R النقطة الثانية التالية لتلك التي احتلها الأسود ٨٧ . ان « السباحة » سوف تعني لعب ١٢ ـ R المرتبطة بالأسود ٨٧ .

١٣ ـ شكل من أشكال الـ « رينجو ». انظر الملاحظة ٧ .

١٤ ـ عن أغنية أطفال مدرسية .

١٥ ـ الـ « يوشي » نقطتان ومنطقة الخصم ـ انها هنا الأبيض ٥٠ .

١٦ ـ « تسوكياتاري ». الأبيض ٥٢ .

١٧ ـ الواقع أن الجولة السابعة جرت في ٣١ تموز والثامنة في ٥ آب .

١٨ ـ « الشوط » لـ « كوشا » باللغة اليابانية وتعني مركبة عطرة) يتحرك إلى الأمام فقط لعدد غير محدود من الفراغات ، ولا تشبهه بالتالي أية قطعة في اللعبة الغربية . في عملية إعاقة الشوط الواحد يبدأ الأقوى بشوط واحد مقابل شوطين لخصمه .

١٩ ـ إنهم على التوالي : مؤرخ كونفوشي ١٧٨٠ ـ ١٨٣٢ ؛ ورجل دولة ١٨٣٦ ـ ١٨٨٨ ؛ ناقد وكاتب مقالات ودارس للصينية ١٨٢٣ ـ ١٩٠٩ .

٢٠ ـ هناك احتفالات خاصة عند الدخول في سن الثامنة والثمانين حسب التعداد الشرقي أو في عيد الميلاد الثامن والثمانين حسب التعداد الغربي .

٢١ ـ تنويع من الرينجو يقفز فيه اللعب من جانب إلى آخر بعد استنفاذ عدد محدود من الأحجار على جانب واحد من الرقعة .

٢٢ ـ يتطلب اللغز اعادة ترتيب حاذقة للمستطيلات في فراغ محدود للغاية .

٢٣ ـ انظر الملاحظة ١٣ .

٢٤ ـ جنرال الذهب وجنرال الفضة (كينشو وغنيشو) هما مرافقا الملك في الشوجي ـ ويحدث عادة أن تتم ترقية الفضة إلى الذهب بعد اختراق مناطق الخصم في العمق ؛ ولكن في بعض الظروف تبدو مزايا بقائه فضياً هي الأفضل .

٢٥ ـ « الشوغي الكوري » يلعب بالبيادق فقط . تضيع القطع حية تسقط في صفوف الخصم .

٢٦ ـ هناك رخ واحد لكل جانب حتى في لعبة شوغي دون اعاقة .

٢٧ ـ عند « الترقية » يمكن للقطعة أن تتحرك فراغاً واحداً قطرياً بالاضافة إلى الحركات المسموح بها للرخ الغربي.

٢٨ ـ انظر الملاحظة ٢ .

٢٩ ـ « كيو » (الدرجات) تسبق « وان » (الصفوف) وهي ترتفع في نظام عدّ تنازلي بعكس الأولى. للقريب بالتالي ثلاث عشرة خطوة للذهاب قبل وصوله إلى الصف الأول .

٣٠ ـ ١٥٥٨ ـ ١٦٢٣ .

٣١ ـ تسعة عشر مربعاً لكل طرف وهي عدد نقاط رقعة الـ « غو » .

٣٢ ـ مؤلفات كلها صينية . الأول عمل كونفوشي كلاسيكي ، والآخر من المدرسة التاوية الجديدة .

٣٣ ـ انظر الملاحظة ٦ .

٣٤ ـ الهوينمبو الثامنة ١٧٨٧ ـ ١٨٤٧ .

٣٥ ـ وهذا يعني البقاء في حالة تعادل . في المباريات الخالية من الاعاقة يكـون الأسود هـو صاحب الامتيـاز . ومن الواضـح أن « الأستـاذ الـذي لا يقهر » قد هزم في الواقع رغم أن المباريات للتدريب فقط .

٣٦ ـ رئيس جـامعة إسيـدا وعضـو المجلس التشريعي ووزيـر التـربيـة ١٨٦٠ ـ ١٩٣٨ . أما « هومبو » فهو اسم مستعار .

٣٧ ـ دارس للصينية ١٨٣٠ ـ ١٩١٩ .

٣٨ ـ الـ « هـوكيدايكـو » أو « طبل اللوتس » التـابـع لـطائفـة نيشيـرين (اللوتس) .

٣٩ ـ « كو » (قالب بالسنسكريتية) مصطلح بـوذي يصف انقضاء زمن طويل ، وهو الحقبة التالية قبل الأبدية . في لعبة الـ « غو » يشير المصطلح إلى موقف يتاح فيه لكل من اللاعبين تناول القطع ذاتهـا وتكرار تنـاولها إلى الأبـد دون التأثير في مواقع قوى أوسع ولقـطع التعادل يتـوجب على الـلاعب الذي أخذت قطعته أولاً أن يلعب في مكان آخر على الرقعة قبـل العودة إلى مشهـد الصراع .

٤٠ ـ رغم عدم وجود حالة « كو » فقد انسحب الأسود من مشهد الفعل حيث يفترض أن يتواجد في حال حدوث تلك الحالة .

٤١ ـ يمكن للنقاط الشاغرة أن تحمي مجموعـة قطع من الأسـر لو أحسن ترتيبها .

٤٢ ـ الواقع أن الأستاذ توفي بعد سنة من نهاية المباراة .

٤٣ ـ « هيتيـو جيري » (مقـطع قصب واحد) . هـذا مقطع من أغنيـة أطفال .

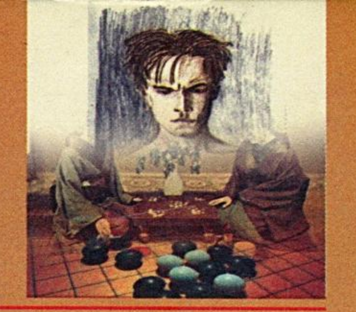
٤٤ ـ الأرز المخلوط بالخضار ولحم القشريات كالسراطين وجراد البحر .

٤٥ ـ ١٨٤٢ ـ ١٩١٣ .

٤٦ ـ انظر الملاحظة ٣ .

٤٧ ـ ما يزال المعنى غامضاً . لعل المقصود هو ٩ ـ .

٤٨ ـ هناك رخ واحد وفيل واحد لكل طرف في الـ « شوغي » .

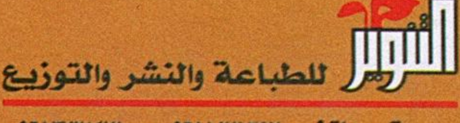


أستاذ الـ«غو»

ياسوناري كاواباتا

لقد اعتبر ياسوناري كاواباتا روايته هذه « أنقى وأجمل » ما كتبه في حياته . لقد أسماها « رواية وقائع أمينة ». واستخدم تعبير shosetsu الذي يتجاوز مفهوم الرواية بمعناه المعروف إلى شكل اكثر مرونة وسخاء وكونية ، يأخذ شيئاً من ثراء وشمول السيرة الذاتية وحرارة تسجيل الذاكرة في قالب فني . يصف كاواباتا في هذا العمل الرثائي الحزين مباراة « غو » فاصلة جرت فعلياً سنة ١٩٣٨ وحضرها بنفسه وغطاها لصحيفة ماينيشي .

لقد صرح كاواباتا بعد أن وضعت حرب ١٩٤٥ أوزارها بأنه لن يكتب بعد الآن سوى المراثي الكونية الشاملة . واذا كانت الرواية التي بين أيدينا واحدة من أفضل نماذجه وأحبها إلى نفسه ـ وأخطر أعماله كما رأى صديق عمره الروائي يوكيو ميشيما ـ فهي تختتم مسيرته الروائية الشاقة وتفاجىء قارئه ودارسه بخصائصها التقنية (تركيب الزمن والوثيقة والوقائع) وأسلوبيتها المركبة (اختلاط القصيدة الشعرية بلغة التقرير الصحفي) ومضمونها الحركي (الفارق التراجيدي في حساسية الأجيال المختلفة لمعنى الأصالة والمعاصرة).



بيروت ـ هاتف ـ ٠٠٩٦١١٤٧١٣٥٧ ـ ٠٠٩٦١٣٧٢٨٤٧١
Email: kansopress@yahoo.com
توزيع دار الفارابي

